الحالة الدينية وأبرز ملامحها في المناطق الريفية والقبلية في منطقة المدينة المنورة (ينبع النخل والصفراء أنموذجًا)

خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري

(١٢٥٠ – ١٣٠٠هـ / ١٨٣٤ – ١٨٨٤م)

أ. فائز بن موسى البدراني الحربي
مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية – الرياض

مع أهمية منطقة الحجاز التي اختارها الله لتكون أرض الحرمين الشريفين، فقد شاء الله أن تتعرض هذه المنطقة إلى كثير من الإهمال بعد انتقال عاصمة الخلافة والدولة من المدينة المنورة إلى خارج الجزيرة العربية، وأن تكون هذه المنطقة مسرحًا للكثير من الحوادث الدامية والاضطرابات السياسية والأمنية، وهو ما كان له أثره المباشر في حجاج بيت الله وقاصديه من الزوار والمعتمرين على مر القرون التي سبقت العهد السعودي الحالي. وقد كان لذلك أثره أيضًا في كتابات معظم المؤرخين والرحالة الذين تناولوا تاريخ المنطقة،

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٣٢هـ، السنة السابعة والثلاثون
الدارة

حيث ركزوا على جانب معيَّن من تاريخ المنطقة، وهو ما يتعلق بالاضطرابات الأمنية، وحوادث قطع الطريق التي يتعرض لها عابرو السبيل من حجاج وغيرهم. كما كان اهتمامهم منصبًا على أحوال المدن الرئيسة وأخبار السلطة المركزية وما له علاقة بها من الحوادث السياسية والأمنية البارزة؛ فضلاً عن أن معظم كتابات الكتاب الغربيين وبعض المؤرخين المسلمين لم تخلُ من نظرة دونية لسكان المناطق الواقعة على طرق الحج.

واخترت هذا الموضوع لأهمية دراسة الأوضاع العامة التي كانت سائدة لدى أهالي القرى والمناطق القبلية التابعة للمدينة المنورة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (١٢٥٠-١٣٠٠هـ/١٨٣٤-١٨٨٤م).

كما اختيرت هذه الحقبة الزمنية التي تغطيها الدراسة؛ لأنها من أشد الحقب التي مرت بها منطقة الحجاز اضطرابًا، نتيجة للضعف الذي أصاب الدولة العثمانية، والتغيرات السياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة، وخاصةً بعد دخول قوات محمد علي باشا الحجاز واحتلاله من عام ١٢٢٦هـ إلى عام ١٢٥٦هـ (١٨١٠-١٨٤٠م)، وما تلا ذلك من ضعف نفوذ الولاة العثمانيين في المناطق الواقعة خارج المدن الرئيسة، والحاجة إلى معرفة تأثير ذلك في الأوضاع المحلية، وخاصةً الحالة الدينية في المناطق الواقعة خارج أسوار المدن الرئيسة، مع قلة الدراسات في هذا الموضوع.

ولهذا؛ فإن هذا البحث يحاول إلقاء الضوء على الحالة الدينية في منطقة الدراسة وإثراء الدراسات التاريخية الاجتماعية عن بلاد الحرمين، وإضافة المزيد من المصادر التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة؛ وخاصةً الوثائق المحلية التي تعتمد عليها هذه الدراسة اعتمادًا كبيرًا.

ويمكن إيضاح أبرز ملامح الحياة الدينية في منطقة البحث من خلال الجوانب الدينية التالية:

١- المذاهب الفقهية السائدة:

اتخذت الدولة العثمانية خلال حكمها للعالم الإسلامي المذهب الحنفي مذهبًا رسميًا، فكان القضاء والإفتاء يقومان على مذهب أبي حنيفة، في مراكز القضاء في الولايات العثمانية. ولهذا نشط هذا المذهب على حساب المذاهب الأخرى، وكان هو المذهب الفقهي السائد في منطقة الحجاز؛ لأنه المذهب الرسمي للدولة(١).

ومع ذلك؛ فقد كان للمذاهب الأخرى بقية، ولم يتعطل العمل بها، ولم تفقد أئمتها وأتباعها، لكنها تراجعت نوعًا

---

(١) أيوب صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق: أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسَى، (الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ج١، ص١٥؛ فائق بكر الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين ١٢٩٣-١٣٣٤هـ / ١٨٧٦-١٩١٦م، ط٢، (جدة: دار المحمدي للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص٤٥؛ عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دراسة تحليلية نقدية، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ص٤٩٠-٤٩١، وص٦٥٤ .

ما بحسب بعدها عن المراكز الرئيسة للدولة، وخاصة العواصم الإقليمية، فقد كان المذهب المالكي(٢) ثم الشافعي - أيضًا - من المذاهب الواسعة الانتشار(٣) في منطقة الحجاز بسبب كثرة المجاورين والمترددين على الحرمين من أهل مصر والمغرب العربي(٤)، ثم يأتي المذهب الحنبلي بعد ذلك(٥).

---

(٢) وثيقة محلية، إثبات قرابة بوادي الفرع، ١ ذي القعدة ١٢٥٢هـ، مج: س/غ/ص/٦٦؛ وثيقة مبايعة ملك بوادي الفرع، ٣٠ رمضان ١٢٦٤هـ، مج: هـ/ن/خ/٢٣ (الوثائق المحلية: هي مجموعة الوثائق التي جمعها الباحث من أهالي المنطقة، وسيعبر عنها بعد هذا بالوثائق المحلية. مجموعة: تعني مصدر الوثائق التي حصلنا عليها سواء كان فردًا أو أسرة. وقد جرى إعطاء هذه المجموعة رقمًا تصنيفيًا متسلسلاً مع الرمز الذي يتكون من ثلاثة أحرف تمثل الحروف الأولى من الاسم الثلاثي لمصدر الوثيقة): انظر قائمة مصادر الوثائق في آخر هذا البحث.

(٣) وثيقة محلية، مبايعة في خيف الربض بوادي الفرع، ١٢٦٥هـ، مج: و/ع/ع/١٩١؛ وثيقة محلية، ٢٠ محرم ١٢٨٢هـ، مج: س/غ/ص/٦٦ .

(٤) نورة بنت معجب بن سعيد الحامد، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦-١٣٢٦هـ / ١٨٤٠-١٩٠٨م)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ)، ص٩٥-٩٦ .

(٥) عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الجزيري الحنبلي، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر: حمد الجاسر، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر)، ج٢، ص١٤١٥-١٤١٦؛ ريتشارد بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (جزآن)، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م)، ج٢، ١٤٣؛ وثيقة محلية، إثبات قرابة في وادي الفرع، ١ ذي القعدة ١٢٥٢هـ، مج: س/غ/ص/٦٦؛ وثيقة وقف في قرية =

ومن الملاحظ على المجتمع الريفي والقبلي في الحجاز ما كان يتسم به من التسامح الديني الذي يتمثل في استيعاب المذاهب الفقهية المختلفة، مع التعايش السلمي بين أتباع تلك المذاهب دون تعصب أو نزاعات مذهبية أو طائفية، على الرغم من اضطراب الأحوال الأمنية، وتفاقم النزاعات السياسية والقبلية.

٢ - إقامة الشعائر الدينية:

مع حرص الدولة العثمانية على إظهار الشعائر الدينية وطبع الدولة بالطابع الديني في جميع ولاياتها، إلاّ أن ظاهرة الممارسات الدينية التي تنطوي على بعض البدع والطرق الصوفية المتنوعة كانت سائدة في معظم أقطار العالم الإسلامي برضى الدولة نفسها(٦)، إذ راجت على طرق الحج أنواع من الخرافات الدينية التي كان يستغلها بعض سكان المنطقة للحصول على أموال الحجاج مثل صوت الطبل فوق رمال بدر وغير ذلك(٧). غير أن تلك الممارسات قد خفت كثيرًا في أقاليم الحجاز خلال مدة البحث، ويعزا ذلك إلى تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي انتشرت

= أبو ضباع تتضمن الإشارة إلى تخصيص جزء من الوقف على صدقة تبذل في عزاء الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ٢٤ ربيع الأول ١٢٧٠هـ، مج: و/ع/ع/١٩١؛ وثيقة وقف أخرى من المنطقة نفسها وتتضمن الإشارة نفسها، ٩ محرم ١٢٧٤هـ، مج: ح/ح/ج/١٦٢.

(٦) الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز، ص١٨-٢٠؛ الصلابي، الدولة العثمانية، ص٤٢٣؛ نواب، كتب الرحلات، ص٤٤٩ وص٦٥٦.

(٧) نواب، كتب الرحلات، ص٤٦٤.

في الحجاز إثر دخوله تحت حكم الدولة السعودية سنة ١٢٢٠هـ(٨).

ومع ذلك فقد كانت هناك بعض المظاهر الدينية التي يمكن أن تدخل ضمن الممارسات الشركية والبدعية والخرافات، مثل الاعتقاد بقدرة بعض الأموات على جلب النفع أو دفع الضر، وزيارة قبورهم(٩)، وبذل النذور لبعض أصحاب تلك القبور، أو القيام على خدمتهم، كما هو الحال في مقبرة شهداء بدر(١٠)، وثمة إشارات محدودة جدًا إلى وقف بعض الصدقات على المولد النبوي(١١). وكان مرد ذلك إلى غياب الدعاة المتحررين من تلك المعتقدات(١٢).

كما أنه قد يدخل ضمن المظاهر الدينية التي ربما أخذها عرب الحجاز من حجاج بعض الدول الإسلامية؛ ما يتعلق

---

(٨) إبراهيم فوزان الفوزان، إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٢٠٠-٢٠١؛ سعد بدير الحلواني، العلاقات بين مصر ونجد والحجاز في القرن ١٩، (القاهرة: (د. ن)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص١٥٩ .

(٩) جون لويس بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة: د. عبدالله بن صالح العثيمين، (الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ)، ص٩٥؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، (٥ مجلدات)، (مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١هـ)، ص٥٨٩؛ نواب، كتب الرحلات، ص٤٥٢، ٤٥٨ .

(١٠) وثائق محلية، مخالصة مالية في وادي الصفراء، وصف كاتبها نفسه بـ: خدام شهداء أهل بدر، ١٨ ربيع الأول ١٢٨٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

(١١) وثيقة محلية، وصية شرعية في وادي الفرع، ١٣ ذي الحجة ١٢٩٥هـ، مج: ع/ع/س/ ٧٣ .

(١٢) الفوزان، إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، ص٢٠١؛ نورة بنت معجب بن سعيد الحامد، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، ص٩٧ .

ببعض البدع الدينية، مثل الاحتفال بيوم عاشوراء، أو بالسادس من شهر صفر، أو ما يكون في يوم الثاني عشر من ربيع الأول من احتفالات وطقوس غريبة، احتفالاً بالمولد النبوي(١٣)، وكذلك تعظيم شهر رجب، وخصه بزيارة للأماكن المقدسة(١٤)، كما تقدم.

ويصف بيرتون تديُّن بدو الحجاز وصفًا مجحفًا، وغير واقعي، فيذكر أشياء لا وجود لها عند العرب عمومًا؛ فضلاً عن بدو الحجاز القريبين من الأماكن المقدسة، والمخالطين لأفواج الحجيج كل عام. أما ما يورده عن ممارستهم لما يسمى في الحجاز بلحوس النار(١٥)، أو البشعة عند بادية الشام، وطريقة سلخ البدوي لذبيحته، واستدلاله بذلك على ضعف تدين البدوي وكفره(١٦)، فليس صحيحًا.

---

(١٣) عاتق بن غيث البلادي، الأدب الشعبي في الحجاز، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، ص١٧٣-١٧٦. وقد ذكر البلادي بعض العادات الأخرى مثل الاحتفال بعيد المعراج، أو بليلة النصف من شعبان، وقد يكون ذلك في المدن الرئيسة مثل مكة والمدينة وجدة، إذ لا تشير مصادر منطقة البحث إلى شيء من ذلك.

(١٤) حمد الجاسر، جدة في القرن الحادي عشر، مجلة العرب، س٧، ج٥، (ذو القعدة ١٣٩٢هـ / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢م)، ٣٩١-٣٩٤.

(١٥) لحوس النار: وسيلة من وسائل التحقيق مع الجناة أصحاب الجنايات المتعلقة بالشرف، أو القتل، أو السرقة، وتقوم هذه العادة على إيهام المتهم وتخويفه نفسيًا؛ وذلك عن طريق إحماء أداة حديدية شبيهة بريشة السكين، وتمريرها على لسان الجاني بحركة خاطفة تعتمد على خفة اليد وسرعتها، فإن تركت فيه أثرًا معينًا فهو مُدَان، وإن لم تترك أثرًا على لسانه فهو بريء، علمًا أنها لا تسبب ألمًا، ولا تترك ضررًا أو تشوهًا في الشخص. وتستخدم هذه الوسيلة في أنحاء كثيرة من الجزيرة العربية وبلاد الشام، وتسمى عند أهل الشمال: البَشعة.

(١٦) بيرتون، رحلة بيرتون، ج٢، ص٢٢٠ .

كما أنه لا صحة لما يورده أيضًا عن استهانة بدو الحجاز بالشعائر الدينية؛ وخاصة ما يتعلق بالصلاة والصيام والحج والصدقة، وإن كان يعترف أنهم كانوا على المذهب الشافعي(١٧)؛ لأن وصاياهم وأوقافهم وصدقاتهم الموثقة تؤكد رسوخ الجانب الديني، وتدحض تلك المزاعم(١٨).

ولا يستبعد أنه حكم على بادية الحجاز من خلال ملاحظته أسلوب مرافقيه من ينبع إلى المدينة، وهم ثلاثة نفر، ذكر أنهم لم يصلوا إلاّ عندما شاهدوا أناسًا من قبيلتهم في قرية الحمراء، فصلوا مراءاة لهم، بل إن هذا دليل على أن أهل قرية الحمراء كانوا يشددون على من يترك الصلاة(١٩). وقد لاحظ كثير من الكتاب المنصفين تحامل الرحالة الأوروبيين ومبالغتهم في إظهار سلبيات عرب البادية - وخاصةً بيرتون، الذي غلب على مذكراته أسلوب السخرية والتشويه - ووصفوهم بأنهم يأتون إلى الجزيرة وهم محملون بمعلومات مشوهة ومتعصبة عن طبائع العرب وعاداتهم(٢٠).

---

(١٧) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢١ .

(١٨) ومنها على سبيل المثال، وثيقة محلية، وصية في وادي الفرع، ١٤ رمضان ١٢٧٠هـ، مج: م ج ب٥٣، وغيرها من الوثائق المتعلقة بالأوقاف وأعمال الخير، وسيأتي الكلام عنها.

(١٩) بيرتون، رحلة بيرتون، ج١، ص٢٠٢ .

(٢٠) راشد شاز، الطريق إلى الجزيرة العربية، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م)، ص١٢، ٣٤.

وتشتهر قبائل المنطقة، مثل غيرها من المسلمين، بشدة الغيرة على الإسلام وبالحماس الشديد للدفاع عنه بأرواحهم، ومن ذلك أنه لما سرت في بدر ونواحيها إشاعة مفادها أن النصارى (الإنجليز) دخلوا مكة، ثارت قبائل المنطقة، وكاتبَ شيوخها شريف مكة والقادة العثمانيين للاستفسار عن هذا الخبر، وكان مما جاء في رسالة أحد المشايخ هناك، وهو الشيخ عبدالله بن حصاني المؤرخة في (١/٣/١٢٧٢هـ) ما يأتي: "... ويذكرون أن النصارى طبوا(٢١) مكة. وهذا العلم لا يرضاه الله ولا رسوله ولا السلطان، ولا من يقول لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، وبعد بلغنا الأمر أصابت المسلمين غيرة دون دين محمد ﷺ، ودون دينهم، وبغت(٢٢) أن تقوم القبايل، وطلبنا منهم لين(٢٣) نبلغكم ونبلغ الباشا، ونشوف تحقيق الأمور، فإن كان وكد(٢٤) عندنا على ما ذكر الشريف وأهل مكة على أن النصارى هتكوا حرمة بيت الله فحنا(٢٥) ما عندنا طاعة للنصارى ولا لمن يعينها، وقايمين عليها غيرة للدين ومستعينين بالله وبرسوله وبكلمة التوحيد ..."(٢٦).

---

(٢١) طبوا مكة: أي دخلوا مكة.

(٢٢) بغت: أي أرادت.

(٢٣) هكذا في الأصل، والمراد: إلى أن نبلغكم.

(٢٤) هكذا في الأصل، والمراد: تأكد.

(٢٥) هكذا في الأصل، والمراد: فنحن.

(٢٦) سنان معروف أوغلو، نجد والحجاز في الوثائق العثمانية: الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢م)، ص٨١ ، ٨٢.

ويلحظ أن كلمة التوحيد كانت ترد كثيرًا حتى في أوقافهم ومعاملاتهم، ومن ذلك ما جاء في وصية وقف بخيف(٢٧) الخرماء(٢٨) بوادي الصفراء، وعبارتها: "... وهو وقف محمد بن علي الفقيهي الرويثي، ومصرفه على الفقراء والمساكين من أهل العدل والتوحيد"(٢٩).

ومن المظاهر الدينية لدى بدو الحجاز التصرف تجاه الميت وفق الشريعة الإسلامية، حيث يُغسَّلُ ويُكفن بما يتاح من قماش، ومنع النساء والنائحات من الحضور، ثم دفنه حيث مات دون تفخيم القبر أو البناء عليه، عدا ما وصفه بيرتون بالأحجار البيضاوية، ويقصِد بها نصيبتي القبر(٣٠).

---

(٢٧) الخَيْف: بفتح الخاء وإسكان الياء، جمعها: خيوف، ويطلق على بساتين النخيل الملتفة على بعضها لتكوِّن ما يشبه الواحة الصغيرة وحولها أو في وسطها نزلة أهلها. وتكون الخيوف عادة على حواف الأودية الكبيرة وتحت الجبال الشاهقة. البليهشي، وادي الفرع، ص٣٠٠ . ومن تعريفاته أيضًا أنه: "ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء". البلادي، معجم معالم الحجاز، ص٥٩٠ .

(٢٨) الخرماء: (بفتح الخاء، وسكون الراء) خيف قديم من خيوف وادي الصفراء يقع جنوب غربي الحمراء على بعد ٤ أكيال تقريبًا، ومن أشهر جبالها المطلة عليها جبل سَمْنَة. وغالب سكانها من رويثة من بني سالم، ومعهم بعض قبائل الصبوح والمحاميد وغيرهم. شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي الحموي، معجم البلدان (٥ أجزاء)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٢، ص٣٦١؛ بوركهارت، رحلات، ص٢٨٧؛ البلادي، معجم معالم الحجاز، ص٥٤١؛ الرحيلي، الطريق النبوي، ص٣٩-٤٠.

(٢٩) وثيقة محلية، إثبات وقف في ملك الروثان في خيف الخرماء بوادي الصفراء، ٥ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦ .

(٣٠) بيرتون، رحلة بيرتون،ج١، ص٢٢٣، وج٢، ص٢٢١؛ البلادي، الأدب الشعبي، ص١٩٢ .

ومن المظاهر الدينية الأخرى لدى الأهالي في مجتمع الدراسة تعظيمهم للقرآن الكريم، وخاصةً سورة الفاتحة التي يعتقدون ببركة قراءتها، حتى إن الواحد منهم إذا أراد أن يكافئ شخصًا على عمل كبير، قرأ له سورة الفاتحة، أي جعل ثوابها له، ومن ذلك أن رجلاً وهب آخرَ بيتًا في خيف الجديد(٣١) بوادي الصفراء، فكافأه بخمسين قرشًا وقراءة الفاتحة، وقد جاء في نص الهبة الشرعية بعد المقدمة: "...أوهبت وملَّكت البيت عبدالله بن عبدالرحمن، وسار البيت ملك من أملاكه يتصرف فيه [تصرف](٣٢) أهل الأملاك في أملاكهم، ولا بقي لي فيما أوهبت وعطيت(٣٣) لا نية ولا مثنوية ولا وجه من الوجيه(٣٤) الشرعية والفرعية، وهو أجزاني بقراية(٣٥) الفاتحة وخمسين قرش مستلمها من وقتها وحينها، وأنا قبلت الجزاء الطيِّب والخمسين القرش، وألزمت وجهي على ما أوهبت" ...إلخ الوثيقة(٣٦).

---

(٣١) خيف الجديد: أحد خيوف وادي الصفراء، يقع غرب خيف العالية بنحو ٣ أكيال تقريبًا باتجاه الغرب، وغالب سكانه القحُوم، والمرازيق من صُبْح. البلادي، معجم معالم الحجاز، ص٣٤٩ .

(٣٢) الكلمة بين المعقوفتين إضافة من الباحث، لاحتمال سقوطها من النص دون قصد.

(٣٣) هكذا في الأصل، وصحتها: وأعطيت.

(٣٤) هكذا في الأصل، وصحتها: الوجوه.

(٣٥) هكذا في الأصل، وصحتها: بقراءة.

(٣٦) وثيقة محلية، هبة شرعية في بلاد صبح بوادي الصفراء، من الشيخ عبدالله بن فواز بن حصاني إلى قريبه عبدالله بن عبدالرحمن، ١٨ ربيع الأول ١٢٨٤هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

كما يلحظ تورعهم عن اليمين في المخاصمات الشرعية والقضائية، ومن ذلك ما جاء في حكم قضائي بشأن خلاف على سقيا نخلة، وهذا ما ورد في عبارته: "...ادعى محمد بن عبدالرحمن بأن هذه النخلة المذكورة ليس لها مسقى ماء، وأجابه محمد بن سليم بأن هذه النخلة سبيل أبي سليم وكانت البلاد(٣٧) الذي هي فيها لنا وباعها عمي سليمان في دَين أبي واستثنى هذه النخلة لأنها سبيل، وأنا المتولي لها من يوم البيع إلى الآن ولا أحد رفع يدي عن سقوها(٣٨) أولاً على عمك مبرك ثم على أبيك ثم عليك أنت(٣٩)، وأنا واضع اليد ثمان عشر سنة(٤٠) لا طلبت لها المعروق(٤١)، فأجابه محمد بن عبدالرحمن: بأني مقر بذلك ولكن سقونا لها هذه المدة بباب المعروف وليس لها استحقاق، فردينا محمد بن عبدالرحمن لبينة شاهدين عدلين مرضيين الشهادة بأن سقوهم هذه المدة ليس هو استحقاق وإنما هو معروف فلم يجد محمد شهود، فأوجبنا على محمد بن سليم أن يحلف له بالله العظيم على أني من يوم توليتها إلى الآن المدة المذكورة أني ليس طلبت لها المعروف(٤٢) لا من عمك ولا من أبيك ولا

---

(٣٧) البلاد: هي الملك أو المزرعة.

(٣٨) هكذا في الأصل، وصحتها: سقياها.

(٣٩) المراد: على زمن عمك، ثم على زمن أبيك، ثم على زمنك حتى تاريخ الدعوى.

(٤٠) هكذا في الأصل، وصحتها: ثماني عشرة سنة.

(٤١) المعروق: هو الأجرة.

(٤٢) المراد: أنني لم أطلبها منهم بالمعروف، لأنها ملكي.

منك وإنما هو بباب الحق، فرضي محمد أنه يخلِّصه باليمين، فبعد ذلك أصرفنا(٤٣) على محمد بن عبدالرحمن ثلاثة أشراف الفاتحة بأنه يسقط اليمين عن أخيه، فقبل محمد الثلاثة الأشراف الفاتحة، وأسقط اليمين، وأعزل عن المنع في السقو، ورضي بأن سقوها ثابت عليه من عرض البلاد من غير زيادة ولا نقصان، فبعد ذلك صح وثبت من عندنا بأن سقوها ثابت على محمد بن عبدالرحمن وأنها من عرض البلاد، وعلى هذا وقع الإشهاد، شهد الله قبل خلقه وكفى بالله شهيدًا، حضر وشهد بذلك مريشيد بن رشود بن حمدان المهيملي، وكتب وشهد وحكم بذلك حكمًا شرعيًا مرعيًا مرضيًا إن شاء الله تعالى الفقير الحقير إلى الله تعالى المقر على نفسه بذنبه والتقصير محمد بن المرحوم حيدر بن عبدالواحد بن عاطف عفى الله عنه آمين، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم"(٤٤).

ويولي عرب الحجاز فريضة الصوم وتعظيم شهر رمضان المبارك اهتمامًا كبيرًا، من خلال حرصهم على ترائي الهلال ومعرفة دخول الشهر(٤٥)، ثم التسابق في أعمال البر في شهر رمضان مثل قراءة القرآن الكريم، وإضاءة المساجد

---

(٤٣) هكذا في الأصل، والمراد: قرأنا عليه سورة الفاتحة ثلاث مرات من باب الشفاعة لإسقاط اليمين عن خصمه.

(٤٤) وثيقة محلية، إنهاء دعوى بشأن ملكية نخلة بخيف السارة، ١٤ جمادى الأولى ١٢٦٥هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(٤٥) وثائق المحكمة الشرعية، وثيقة إثبات شرعي لدخول شهر رمضان بشهادة كل من سيف بن فالح العوفي وفهد بن قصَّان السِّهَلي العوفي، ١ رمضان ١٢٨٩هـ، سجل١٧٣، وثيقة ١٨٠، ورقة ٢٣ .

بالسرج، وبذل الصدقات، وتسجيل الأوقاف، وإطعام الفقراء(٤٦).

كما تشير بعض الوثائق المحلية إلى مكانة الحج عندهم، ومن ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، أن امرأة من قبيلة صبح أهل وادي الصفراء أجَّرَت أملاكًا عقارية واسعة وثمينة لمدة ثلاثمئة سنة، وكان من ضمن قيمة الإيجار ما يقابل مصروفات حجها هي وجاريتها على نفقة المستأجرين في حج عام ١٢٦٤هـ(٤٧).

كما أن من أهم مظاهر الحالة الدينية الالتزام بقواعد الشريعة في العقود والمعاملات التجارية، مثل معاملات البيع والشراء والتأجير والهبات والوصايا وغير ذلك، إذ يلحظ الحرص على اكتمال شروط العقد مثل الإيجاب والقبول والمعاينة والرشد والشهود، إضافة إلى استخدام عبارات شرعية، مثل: "بيع المسلمين للمسلمين"(٤٨)، أو: "بيعًا مرضيًا شرعيًا لا خيار فيه ولا شرط يبطله"(٤٩).

---

(٤٦) وثيقة محلية، وقف حوض نخل في الحسنية، في شهر رمضان ١٢٥٢هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

(٤٧) وثيقة محلية، عقد تأجير أملاك في الصفراء وجبل صبح، ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٦٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ وثيقة أخرى، ١١ رجب سنة ١٢٧٤هـ، مج: ع/ع/ع/٢٠٥ .

(٤٨) وثيقة محلية، مبايعة في جبل صبح، ٩ شوال ١٢٥٢هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧ .

(٤٩) وثيقة محلية، مبايعة بخيف السارة، ٢ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

غير أنه يؤخذ على مبايعاتهم التبادلية - أحيانًا - أن الثمن قد يكون فيه معلوم ومجهول، فالمعلوم مبلغ نقدي محدد العدد، والمجهول مقدار من البُن أو غيره، مجهول القدر كيلاً، ومن ذلك ما ورد في إحدى وثائق المبايعات المحلية، إذ جاء ذكر الثمن هكذا: "... لقد باع محمد على عواد أصل الماء المذكور معلوم ومجهول، المعلوم قدره ١٥ ريالات والمجهول صبرة حب مجهولة القدر والقيمة ما يعلم قدره إلاّ الله، خالص بها محمد بالمجلس" ...إلخ(٥٠).

وكذلك ما جاء في وثيقة أخرى وعبارته: "... والثمن الذي حصل به التراضي صبرة وزبرة، الصبرة مجهولة القدر والقيمة، والزبرة ٣ ريال، مسلم الكل بيد البايع بالوفا والتمام" ...إلخ(٥١).

ومن الملامح الدينية - أيضًا - عنايتهم بقسمة المواريث وفق الفرائض الشرعية(٥٢). والشيء نفسه بالنسبة للأوقاف(٥٣)؛ إذ إن المتبع أن تكون الأوقاف على أولاد الأولاد

---

(٥٠) وثيقة محلية، مبايعة أصل قراريط ماء في خيف أم ذيان، ١٠ صفر ١٢٥٦هـ، مج: ع ي م١٤٨ .

(٥١) وثيقة محلية، مبايعة ماء في خيف الجديدة، ٢ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣ .

(٥٢) وثيقة محلية، قسمة ميراث في خيف الخرماء، ١٥ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦؛ وثيقة قسمة تركة متوفى في سويقة بوادي ينبع النخل، ٢٥ رجب ١٢٥٦هـ، مج: ع/ع/ق/١٧٩ .

(٥٣) وثيقة محلية، وقف في خيف الخرماء، ٥ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦ .

ما تناسلوا، وعلى الإناث دون نسلهن، أو ما يعبرون عنه بقولهم: "وهو وقف على الظهور دون البطون"(٥٤).

ولا ينظر الآباء إلى هذا الإجراء على أنه احتقار لأولاد البنات، وإنما لأن أولاد البنت لا يدخلون في أولاد الرجل شرعًا(٥٥)، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾(٥٦)، فلا يرى العلماء فيه بأسًا، لأنه وقف مشروط فقط؛ بل لأنه هو الذي عليه إجماع الفقهاء(٥٧).

٣ - عمارة المساجد:

المسجد هو الرمز الخالد للمسلمين؛ ولذا فإن انتشار المساجد والعناية بها من أهم المظاهر الدينية للمجتمع، بل إن من أهم واجبات السلطة الحاكمة في الدولة بناء المساجد وعمارتها، وتزويدها بما تحتاج إليه من الأئمة والمؤذنين

---

(٥٤) وثيقة محلية، وقف في وادي الفرع، ٣ شوال ١٢٩٣هـ، مج: ع/ع/م/٦٢ .

(٥٥) ذكر الولد في الإرث والحجب يدخل فيه ولد البنين دون ولد البنات... لأن أولاد البنات منسوبون إلى آبائهم دون أمهاتهم، قال الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا
بنوهُن أبناءُ الرجالِ الأباعِدِ

عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، المغني على مختصر عمر بن حسين الخرقي، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)، ج٥، ص٦١٦ .

(٥٦) سورة النساء، الآية (١١).

(٥٧) ابن قدامة، المغني، ج٥، ص٦١٦؛ وثيقة محلية، فتوى شرعية للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩هـ)، أيدها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري (ت ١٣٧٣هـ) قاضي سدير في عهد الملك عبدالعزيز، ٤ جمادى الآخرة ١٣٢٢هـ، مكتبة مركز الرحمانية الثقافي بالغاط، مجموعة وثائق الغاط، مج: ٤٤ وثائق الغاط.

وغيرهم(٥٨). ومع أهمية المساجد وكثرتها في المناطق الواقعة على دروب الحج في الحجاز؛ إلاّ أنها لم تحظ بعناية المؤرخين في وصفها كما حظيت بذلك المساجد الكبيرة والتاريخية في المدينتين المقدستين، بسبب صغر حجم مساجد الطريق، وإهمال الدولة لها، يستثنى من ذلك ما ورد من إشارات موجزة إلى بعض المساجد في الروحاء والمنصرف (المسيجيد)، والخيف، ومسجد الغمامة في بدر(٥٩).

ولعدم اهتمام الدولة العثمانية ببناء المساجد في المناطق الداخلية وصيانتها، فقد اعتمد السكان المحليون على أنفسهم في ذلك، إذ يلحظ من خلال الوثائق المحلية؛ أن المساجد تحظى بمكانة كبيرة في التجمعات السكانية في القرى والأرياف القبلية الواقعة في منطقة البحث(٦٠)، ويتضح ذلك من كثرة الأوقاف والأسبال المتعلقة بالمساجد(٦١).

ومما يدل على كثرة الأسبال المخصصة للمساجد، وتقاربها، أن إحدى وثائق المبايعة في قرية الخرماء في وادي

---

(٥٨) محمد يعقوب الدهلوي، السلطة التنفيذية ودورها في تنفيذ الأحكام وحماية الحقوق، (الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ج١، ص٣٣٩ .

(٥٩) نواب، كتب الرحلات، ص٦٤٠ .

(٦٠) وثيقة محلية، مفاهمة بشأن توسعة درب مسجد الرتوع، ٢٦ جمادى الأولى ١٢٧١هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(٦١) وثيقة محلية، مبايعة مغرس نخلة موقوفة على مسجد الخمُس في خيف الحَسَنية بوادي الصفراء، ٢٠ صفر ١٢٧٢هـ، مج: س/س/ص/١٩٥؛ وثيقة محلية أخرى، تأجير دكان تابع للمسجد بخيف الخرماء، ٢٢ صفر ١٢٧٢هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

الصفراء تشير إلى أن الملك المبيع محدود بمسجدين من الشمال ومن الغرب، إذ جاء في نص الوثيقة: "الحمد لله وحده؛ أنه لما كان تاريخ يوم ١٠ شهر شعبان سنة ١٢٨٥، لقد حضر عندنا وعلى يدينا الرجل البالغ العاقل الرشيد أحمد بن مرزوق بن باز الفقيه(٦٢)، وبعد حضوره باع على عباس علي أحمد البلاد(٦٣) الكاينة في خيف الخرماء في مقلب السبت، يحدها من شمال سبيل مسجد الموالك، وسبيل ابن رويشد، ومن بحر(٦٤) سبيل مسجد ابن جخيدب" ...إلخ الوثيقة(٦٥).

ويشير اللواء محمد صادق باشا كثيرًا إلى المساجد التي رآها في طريقه بين ينبع والمدينة، ومنها جامع البرعي(٦٦) الشهير هناك(٦٧).

كما تشير إحدى الوثائق إلى شراء أرض في خيف الجديدة من أجل توسيع المسجد(٦٨).

---

(٦٢) من قبيلة رويثة أهل خيف الخرماء، من ميمون، من بني سالم.

(٦٣) البلاد: أي الملك أو المزرعة.

(٦٤) من بحر: أي من جهة الغرب.

(٦٥) وثيقة محلية، مبايعة ملك بخيف الخرماء بوادي الصفراء، ١٠ شعبان ١٢٨٥هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦ .

(٦٦) عبدالرحيم البرعي: أحد مشاهير الصوفية، مات في القرن السابع في الطريق بين المدينة وينبع، ودفن في قرية الجديدة، وقد ظل قبره مزارًا لغلاة الصوفية والجهلاء من أهل المنطقة. البلادي، معجم معالم الحجاز، ص٥٨٩ .

(٦٧) محمد همام فكري، محمد صادق باشا.. الرحلات الحجازية، (بيروت: بدر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ص٥٢ .

(٦٨) وثيقة محلية، مبايعة أرض بخيف الجديدة بوادي الصفراء، ٢٢ صفر ١٢٧٢هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

وجاء ذكر المسجد في وثيقة هِبَة شرعية في خيف الحزامي(٦٩)، كما أشارت وثيقة أخرى إلى وقف نخل على تفطير "فطرة" صُوَّام مسجد الرتوع أهل خيف الواسطة(٧٠). وكذلك وقف رَيّع منزل على مسجد الرتوع بخيف الواسطة بوادي الصفراء(٧١). كما أشارت وثيقة أخرى إلى مسجدَيّ الرتوع - وهم من المحاميد - والعوَيْضات، وهم فرع من الحوازم في وادي الصفراء(٧٢).

---

(٦٩) خيف الحزامي: يقع في مضيق وادي الصفراء بين جبال شاهقة، على بعد ١٠٠ كيل تقريبًا من المدينة المنورة، ويسمى في المراجع القديمة خيف بني عمرو، أو خيف بني سالم، ويمتاز بعيونه وبساتينه، وسكانه بنو عمرو، من بني سالم، من حرب. الحسيني، رحلة الشتاء والصيف، ص٢٦٤؛ الرحيلي، الطريق النبوي، ص٣٨؛ بوركهارت، رحلات، ص٣٦٩؛ البلادي، قلب الحجاز، ص١٥٢؛ البليهشي، بدر، ص١٣٤-١٣٥؛ وثيقة محلية، وثيقة هبة شرعية في خيف الحزامي، ٧ شعبان ١٢٨٣هـ، مج: ع/ع/ع/٢٠٥ .

(٧٠) خيف الواسطة: من أشهر خيوف وادي الصفراء، وتبعد عن المدينة المنورة بـ: ١٢٨ كيلاً تقريبًا. وللواسطة ذكر كثير في الوثائق التاريخية؛ وهذا يدل على أهميتها ونشاطها في القرون السابقة، ومن أشهر عيونها التي يتردد ذكرها في الوثائق المحلية: الجديدة، والصارَّة (السارَّة)، والسفلى، والعليَا، وكل عين لها خيف يحمل اسمها. كما أن من أشهر جبالها من الغرب أبو كرَّاثة، ومن الشرق أبو سوَيْقة، ومن الجنوب أبو قبلة، ويسكنها كثير من قبائل بني سالم، ومنهم الرتوع والحنيطات وصبح وغيرهم. بوركهارت، رحلات، ص٣٦٩، وقد ورد في النسخة المترجمة: واسط، والصواب: الواسطة؛ لأن واسط موضع آخر في وادي ينبع؛ البلادي، معجم معالم الحجاز، ص١٧٨٥؛ وثيقة محلية، مبايعة نخل في الواسطة، ٢٥ ذي القعدة ١٢٨٠هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(٧١) وثيقة محلية، إثبات عطاء وسبيل، ٢٢ شوال ١٢٧٣هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(٧٢) وثيقة محلية، إثبات سبيل وأوقاف في وادي الصفراء، سنة ١٢٧٤هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣ .

٤ - الإفتاء:

يعد الإفتاء من الأركان الأساسية في البناء الديني والسياسي في الدولة الإسلامية(٧٣)، مما يوجب على إمام المسلمين اختيار أصحاب الفتوى وتوليتهم، استشعارًا لأهمية الفتوى ومكانتها، وما يترتب عليها من تحليل أو تحريم(٧٤)؛ ولذا، فإن المفتي الشرعي يتبوأ منصبًا عاليًا في الهرم السياسي للدولة، لا يصل إليه إلاَّ كبار العلماء(٧٥).

وتكمن أهمية مكانة المفتي في أنه يمثل همزة الوصل بين الراعي والرعية، أو بين الأهالي والسلطان. وقد تعاظم دور المفتي لحاجة السلطة المركزية إلى موافقة المفتي وأتباعه من العلماء وطلبة العلم على ما ترغب في تشريعه من قوانين وتنظيمات، أو ما تتخذه من قرارات وسياسات(٧٦).

وكان منصب المفتي من المناصب العالية في المدينة المنورة خلال الحكم العثماني، وكانت ترد إليه طلبات الفتوى مكتوبة من الأهالي الساكنين خارج المدينة النبوية لعدم وجود مفتين أو علماء كبار في المناطق المجاورة للمدينة. ومع ذلك فقد كان في بعض القرى - أحيانًا - بعض طلبة العلم أو أئمة المساجد الذين يلجأ الناس إليهم ويستفتونهم في أمورهم الدينية

---

(٧٣) للمزيد عن تعريف الفتوى وأهميتها انظر: فهد بن سعد الجهني، الفتوى وأثرها في حماية المعتقد وتحقيق الوسطية، (الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ)، ص١١-١٢ .

(٧٤) الدهلوي، السلطة التنفيذية، ج٢، ص٧٦٤ .

(٧٥) الجهني، الفتوى وأثرها، ص١٧-١٨ .

(٧٦) الحامد، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، ص٩٧ .

العادية؛ ومما يدل على الاهتمام بالفتوى، كثرة المراسلات والمكاتبات المتعلقة بهذا الشأن، وخاصة الصادرة من شيوخ القبائل في المنطقة.

ومن أمثلة الفتوى من علماء محليين فتوى للشيخ أحمد بن مبارك، الذي زاول القضاء والإفتاء في وادي الصفراء، فقد ورد بخطه ما يلي: "الحمد لله وحده، مؤرخ يوم ٢٥ من شهر شعبان سنة ١٢٨٥، أقول وأنا الفقيه أحمد بن مبارك بأن جانا حمدان بن مرشد الهلالي يسألنا في نقل نخلة، فيه(٧٧) تصح إذا شهدوا اثنين(٧٨) من المسلمين صح نقلها بأصلح منها، والله ورسوله خير الشاهدين"(٧٩).

٥ - القضاء:

القضاء من الضروريات التي يحتاج إليها كل مجتمع منذ قيام المجتمعات الإنسانية في مراحلها الأولى، لحاجة الناس إلى الفصل في خصوماتهم وقطع منازعاتهم(٨٠)، وحل خلافاتهم اليومية ودعاوى بعضهم على بعض(٨١).

---

(٧٧) هكذا في الأصل، ولعل المراد: فهي ... إلخ.

(٧٨) هكذا في الأصل، وصحتها: إذا شهد اثنان ... إلخ.

(٧٩) وثيقة محلية، فتوى بشأن مناقلة نخلة موقوفة في وادي الصفراء، لتعطل منفعتها، ٢٥ شعبان ١٢٨٥هـ، مج: س/س/هـ/٢٠٩.

(٨٠) لتعريف القضاء لغة واصطلاحًا انظر: الدهلوي، السلطة التنفيذية، ج١، ص٥٥-٥٨.

(٨١) صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ج٢، ص٣٦٤-٣٦٥؛ محمد زهير مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨م)، ص٢٠٩.

ويصنف أيوب صبري باشا القضاة إلى نوعين: الأول: قاض، والثاني: فقيه، فالقضاة مهمتهم الفصل في الدعاوى والمنازعات، والفقهاء مهمتهم الدعوة ونشر مبادئ الدين(٨٢).

وعندما لا تتوافر خدمات القضاء في المناطق النائية؛ فإن الأهالي يلجأون إلى الفقهاء وكُتاب الوثائق المحليين في تسجيل تعاملاتهم اليومية.

ومع شيوع القضاء العرفي القبلي في منطقة البحث؛ إلاّ أنه لا يغني عن القضاء الشرعي الذي هو الأصل في مجتمع مسلم، اضطرته الظروف المعيشية المضطربة لاستخدام بعض الأعراف والقوانين، لكنه يضع حدودًا واضحة بين القضاء الشرعي والقضاء العرفي، وهذا ما تؤكده معلوماتهم الموثقة، ومنها ما جاء في إحدى الوثائق المحلية عن سؤال أحد الأفراد لثمانية من قضاة العرف عن حكم: مُخلِف الشريعة، فأجابوه: "ما عندنا قن غير الشريعة وما تحكم به الشريعة"(٨٣).

ويمكن تقسيم القضاة في منطقة الدراسة إلى نوعين رئيسين، بحسب مرجعية القاضي وطريقه تعيينه، ومستواه العلمي، وهما:

---

(٨٢) صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ج٢، ص٢٦٤؛ مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٨٣) وثائق محلية، رسالة غير مؤرخة، مكتوبة في حدود سنة ١٢٦٠هـ تقريبًا، مج: ع/ج/ح/١٥١.

النوع الأول: القضاة الرسميون:

وهم القضاة الذين تعيّنهم السلطة المركزية أو من ينوب عنها(٨٤)، ويتلقون رواتبهم أو مخصصاتهم من السلطة، وهؤلاء يحمل الواحد منهم لقب: الحاكم الشرعي، أو نائب الشريعة، أو نائب الشرع الشريف، ولهم أماكن رسمية يجلسون فيها للقضاء بين الناس، وتسمى مجالس الشرع الشريف. ولا تخلو مكاتباتهم من الإشارة إلى هذه التسميات، إضافة إلى ما يطلقونه على أنفسهم من الألقاب العلمية وألفاظ التبجيل، بحسب درجاتهم الوظيفية والعلمية. ولتعطل المحكمة الشرعية أو غياب القاضي الشرعي في أحيان كثيرة في القرى والأرياف؛ فإن الأهالي كثيرًا ما يذهبون لكتابة أوقافهم أو رفع دعاواهم لدى القاضي الشرعي في المدينة المنورة، أو في مكة المشرفة، أو في ينبع البحر، ولذلك أمثلة كثيرة، منها: إثبات وقف بخيف الحزامي يخص عطية الله القليطي العَمْري من أهل وادي الصفراء(٨٥).

ومثال على تقاضي أهل المنطقة لدى القاضي الرسمي في محكمة ينبع البحر وصيغة العقود الشرعية الرسمية، ما جاء في الصك الشرعي التالي: "الأمر حسب ما فيه "عنه"

---

(٨٤) الدهلوي، السلطة التنفيذية، ج١، ص٦٢-٦٣ .

(٨٥) وثيقة محلية، وقف لرجل من أهل وادي الصفراء مسجل في المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، ٥ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦؛ وثيقة شرعية صادرة من المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة، بشأن إثبات وقف بخيف الحزامي، ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٦٢هـ، سجل١٥١، وثيقة٤٠٩، ورقة ٧٧ .

محمد عبدالرحمن عواد نائب خلافة بندر ينبع البحر الفقير إلى الله تعالى(٨٦).. الحمد لله تعالى هذه حجة شرعية ووثيقة محررة مرضية صدرت بمجلس الشرع الشريف ومحفل الدين المطهر الحنيف بمحكمة بندر ينبع البحر بين يدي الحاكم الشرعي الحنفي(٨٧)، عامله الله بلطفه الخفي المَوَلَّى بمحكمة بندر ينبع البحر، الواضع اسمه وختمه الكريمين أعلاه وفقه الله وهداه، آمين. مضمون ذلك ومعناه ومفهومه ومبناه هو أنه قد اشترى الرجل المكرم الرشيد عبدالمعين بن صالح لموكله الرجل المكرم عبدالله بن محمد أبو قيي بمال موكله لنفسه دون مال غيره من الرجل المكرم الرشيد أحمد بن محمود أبو العظم بايعًا عن نفسه وعن طرف موكله أخيه محمد بن محمود وعن طرف أختيه حنيفة وعلية بنات محمود وعن طرف والدتهم جميلة بنت أحمد خلاَّف، الثابتة وكالته عنهم بالبيع وقبض الثمن...(٨٨)، وذلك البيع أصل كامل البقع الأرض الكاين بخيف عين جديد أحد خيوف القواد في مقلب المربعة ... بيعًا صحيحًا شرعيًا ناجزًا نافذًا باتًا من وقته وحينه وساعته لا شرط فيه ولا خلاف ولا إجبار ولا إكراه ... وتحررت هذه الوثيقة من محكمة بندر ينبع البحر بعد قيدها بسجل المحكمة

---

(٨٦) هذه العبارة مع ختم القاضي تكتب أعلى الصك، وتتضمن الإشارة إلى أنه القاضي نيابة.

(٨٧) في هذا إشارة إلى أن المذهب الحنفي هو المذهب السائد في محاكم الدولة العثمانية.

(٨٨) الفراغات الواردة في هذا النص تدل على عبارات محذوفة للاختصار.

المطهرة(٨٩)، تحريرًا في العاشر من شهر شعبان المكرم عام الألف والمايتين والستين من هجرة من له العز والشرف، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. شهود الحال" ...إلخ الوثيقة(٩٠).

النوع الثاني: القضاة المحليون:

كان في كل قرية قضاة محليون يتعارف الناس على قبولهم وأهليتهم لتولي القضاء والإفتاء والإمامة وغير ذلك من الأمور الدينية. ومن أمثلة هؤلاء القضاة في وادي الصفراء: محمد بن حيدر بن عاطف الصبحي، فقد جاء في آخر الوثائق المكتوبة بخطه ما يلي: "... وكتب وشهد وحكم بذلك حكمًا شرعيًا مرعيًا مرضيًا إن شاء الله تعالى الفقير الحقير إلى الله تعالى المقر على نفسه بذنبه والتقصير (محمد بن المرحوم حيدر بن عبدالواحد بن عاطف)"(٩١).

وهؤلاء - غالبًا - يزاولون القضاء بين الناس والكتابة لهم، مقابل أجرة يدفعها أحد طرفي القضية أو التعاقد، أو كلاهما معًا، حسب ما يجري الاتفاق عليه مسبقًا. ويسمى ما يحصل عليه القاضي "خبزًا"(٩٢).

---

(٨٩) في هذا إشارة إلى وجود سجلات ضبط منتظمة لدى المحاكم الشرعية الرسمية، بخلاف الكتابات المحلية.

(٩٠) وثيقة محلية، صك شرعي، مبايعة أرض، ١٠ شعبان ١٢٦٠هـ، مج: أ/ع/أ/١٥٧ .

(٩١) وثيقة محلية، إنهاء دعوى شرعية بشأن نخلة في خيف السارة، ١٤ جمادى الأولى ١٢٦٥هـ، مج: م/م/ر/١٤٢.

(٩٢) صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ج٢، ص٣٦٥؛ وثيقة محلية، إنهاء خلاف بشأن ملكية بوادي الفرع، ٦ رمضان ١٢٩٥هـ، مج: س/غ/ص/٦٦.

ومن القضاة المحليين في وادي الصفراء: الفقيه عبدالرحمن بن بريك بن مدشع الحنيطي(٩٣)، والفقيه أحمد بن مبارك بن جار الله الزهيري، وله عدة فتاوَى مكتوبة(٩٤)، والفقيه عبدالمطلوب بن حسين بن عاطف الصبحي(٩٥)، وقريبه الفقيه عبيدالله بن عبدالواحد بن عاطف الصبحي(٩٦)، ومما جاء في أحد أحكامه الشرعية التي قضى فيها بين طرفين بشأن قسمة مواريث، قوله: "... وحكمنا على ذلك حكمًا شرعيًا قالطًا قاطعًا لجميع الدعاوي والنزاع، بحضرة شهود الحال وهم عبدالله بن حصاني، وعبدالرحيم بن بكري، وعيد بن مسيف، ومساعد بن عودة، والله ورسوله خير الشاهدين، وكتب وحكم راجي عفو ربه الملاطف عبيدالله بن عاطف"(٩٧). ومريشيد بن مبارك المهيلي، وهو من رجال القضاء والإفتاء(٩٨).

---

(٩٣) وثيقة محلية، إنهاء دعوى بشأن ملك في رحقان في وادي الصفراء، ٤ رجب سنة ١٢٥٩هـ، مج: خ/م/ج/١٩ .

(٩٤) وثيقة محلية، مبايعة ماء بخيف الحمراء، مؤرخة في ٥ شوال ١٢٦٧هـ، مج .... و٢٥ شعبان ١٢٨٥هـ، مج .....

(٩٥) وثيقة محلية، بشأن إلغاء شهادة، ١٠ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(٩٦) وثائق محلية، إنهاء دعوى، ٢٥ محرم ١٢٦٣هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧؛ وثيقة تأجير عقار، ٢٠ ذي الحجة ١٢٦٤هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧؛ وثيقة مبايعة أرض في بلاد صبح، ٧ رجب ١٢٦٥هـ، مج: س/س/ص١٩٥.

(٩٧) وثيقة إنهاء دعوى شرعية بوادي الصفراء، ٢٧ شوال ١٢٧٣هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

(٩٨) وثائق محلية، مبايعة ماء في خيف الخرماء، ١٣ رجب ١٢٦٢هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦؛ وثيقة مخالصة في الصفراء، ١٧ صفر ١٢٦٥هـ، مج: م/م/ر/١٤٢؛ وثيقة قضاء عرفي، ٢٠ ربيع الأول ١٢٦٩هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

٦ - القضاء العرفي:

كان للقبائل الحجازية مجالسها العرفية وقضاتها المعترف بهم من قبل مجتمعاتهم للنظر في أمور القبيلة، والقضاء في المنازعات والخلافات الفردية والقبلية(٩٩). وقد يجمع هؤلاء القضاة بين القضاء العرفي والقضاء الشرعي إذا كان القاضي متبحرًا في العلوم الدينية(١٠٠).

ولما تحظى به التنظيمات والأعراف القبلية من مكانة وأهمية، ولأنها تؤدي دورًا كبيرًا وحيويًا في ضبط الحياة المضطربة خارج المدن الرئيسة، فقد برز في ذلك المجتمع قضاة عرفيون محليون تعارف الناس على أهليتهم ونزاهتهم، وحظيت أحكامهم بالقبول والتنفيذ(١٠١).

ويتسم قضاة العرف عند البادية بمزايا تؤهلهم لتلك المهنة، وتجعلهم محل ثقة أفراد مجتمعهم، ومن تلك المزايا توقد الذهن، وسرعة البديهة، وسداد الرأي، والدراية بالأعراف والقوانين القبلية(١٠٢).

---

(٩٩) عائض الردادي، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، (جدة: مكتبة المدني، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، القسم الثاني، ص٨٣ .

(١٠٠) لمزيد من المعلومات عن القضاء العرفي لدى القبائل في الحجاز، يمكن الرجوع إلى: التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز، لفائز بن موسى الحربي، راجعه وقدم له: د. عائض الردادي، (الرياض: دار البدراني للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

(١٠١) مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو، ص٢٣٠؛ عصام بن ناهض الهجاري، منتهى الإفادة في أنساب وأخبار الأشراف ذوي هجار بني الحسن بن قتادة، مسودة كتاب لم ينشر، ص٧٥٨ .

(١٠٢) مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو، ص٢٣٥ .

ومن أشهر قضاة العرف من خلال ما تشير إليه الوثائق في منطقة وادي الصفراء: القاضي علي بن سليمان القرّف من قبيلة الحوازم، ويصف نفسه في بعض الوثائق(١٠٣) بقاضي الحربية(١٠٤)، وتعد أسرته من أشهر بيوت القضاء العرفي عند قبائل الحجاز(١٠٥).

وكذلك الشريف عاتق بن نامي من أشراف بدر، ويعد من أشهر القضاة العرفيين، وكان له دور كبير في الإصلاح بين الناس، ومن أمثلة أحكامه الموثقة ما ورد في محضر إنهاء دعوى بين أفراد أسرة من صُبّح بشأن توزيع تركة، جاء فيها بعد المقدمة: "... وطال بينهم النزاع والتشاجر، وحضروهم جماعة من المسلمين ودفعوهم إلى مجلس الشريف عاتق نامي وما يقول(١٠٦) بينهم، واندفعوا هم ومن حضرهم من المسلمين، وبعد حضور الجميع في مجلسه طلب منهم ثبوت وكالتهم، وحضر جود الله بن مسلم وكيل عن زوجته سلمى بنت سلامة وأختها سِعْد ورحيمته(١٠٧) سعيدة بنت محسن أبو دُرّبة(١٠٨)،

---

(١٠٣) وثيقة تحالف قبلي، ٢٨ محرم ١٢٥٦هـ، مج: ح/م/ع/٢٦ .

(١٠٤) الحربية: أي ديار حرب، والمراد: الديار الحربية.

(١٠٥) وثائق محلية، تحالف قبلي، ٢٨ محرم ١٢٥٦هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧؛ وثيقة تلازم بين رجال ذوي عليان وذوي مرزوق من صبح، ٣٠ جمادى الأولى ١٢٨١هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧؛ وثيقة قضاء عرفي صادرة من علي بن سليمان القرّف قاضي حرب، ٢٢ شوال ١٢٩٧هـ.

(١٠٦) المراد: وما يقضي به بينهم.

(١٠٧) من الرحم، والمراد هنا: المصاهرة.

(١٠٨) من قبيلة صُبّح.

وحضر عبدالله بن عبدالرحمن(١٠٩) وكيل عن عمته مسعدة وعن إخوانه القصار علي وعبيدالله، وحضر عوَيِّد بن علَيَّان وشهد بأن ظافرة راضية بما يرضون به الورثة، وبعد ثبوت الوكالة طلب منهم عاتق المذكور لزم على ما أقوله ترضونه، وألزم جود الله وجهه على موكلاته على ما كان تقسمه وترسمه يا عاتق راضيات به، وألزم عبدالله المذكور وجهه على موكلينه(١١٠)، وبعد اللزم أثبت عاتق لعبدالله وإخوانه مية ريال، وثمَّن لهم بها من مال جدهم، وثمَّن له ناصفة دكان ابن بَكْري بستين ريال، وبيت الدوسري بعشرة ريال(١١١)، وحوض الخميس بثلاثين ريال، وصار خالص بالمية الريال المذكورة، وألزم وجهه عبدالله المذكور على نفسه وعلى إخوانه أن ليس يبقى لهم لا دعوى ولا طلب، وسائر الورثة حصل منهم الرضا على التثمين" ...إلخ الوثيقة(١١٢).

ويلحظ أن معظم شيوخ القبائل يزاولون القضاة العرفي، ويسهمون بدور كبير في حل مشاكل قبائلهم والقبائل المجاورة لهم، وهم بارعون في ذلك وأحكامهم تحظى بالاحترام والقبول، ومن الأمثلة على ذلك فهد بن أحمد بن محمود من شيوخ قبيلة الأحامدة، ومن أمثلة أحكامه ما ورد نصه كما يأتي: "يوم ٢٥ من ربيع تالي سنة ١٢٦٦، أقول وأنا فهد بن

---

(١٠٩) هو عبدالله بن عبدالرحمن الطيير الصبحي.

(١١٠) هكذا في الأصل، وصحتها: موكليه.

(١١١) هكذا في الأصل، وصحتها: بعشرة ريالات.

(١١٢) وثيقة محلية، إنهاء دعوى، ١٨ محرم ١٢٦٤هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ وأخرى في ٧ ربيع الآخر ١٢٦٤هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥، وانظر صورة الوثيقة رقم (١) في ملحق الوثائق.

أحمد أننا توَجَّهنا(١١٣) على مقيت بن سلمان فرد ما عقبه(١١٤) كريدم في مقيت، وَجَّهَنا مقيت وأركزها لمثلاها(١١٥) وهو مقدوره ميتين وخمسة وعشرين ريال(١١٦) حكر قص من القرف(١١٧)، وبيد مقيت من المذكور مية قرش مقطوعة الكوم بحضور الضمان عمر بن عماير القبيعي، وعوض بن فالح، وعامر بن فالح، ومحمد بن حسين، والخط والمهر عمدة، الختم: فهد بن أحمد"(١١٨).

ومنهم أيضًا الشيخ الشهير سعد بن جزا، الذي اشتهر بالقضاء العرفي وبالإصلاح بين الناس، وهناك أمثلة كثيرة، منها ما جاء في الوثيقة المكتوبة بخط ابنه حذيفة، وهذا نصها: "الحمد لله أنه لما كان تاريخ يوم ٥ من شهر شعبان سنة ١٢٨٦، أقول وأنا الشيخ سعد بن جزا أن حضروا عندي رُوَيِّثة من موجب خيفهم(١١٩)، جميع خمساتهم الفقهاء على عيد وشريف وإبراهيم الفرَيِّعي وبادي بن بديوي وأحمد بن

---

(١١٣) توَجَّهنا: أي ذهبنا إليه لطلب إنهاء الدعوى.

(١١٤) ما عقبه: المراد: ما خلَّفه وتركه.

(١١٥) هكذا في الأصل، والصواب: لمثلها. وأركزناها لمثلها: أي جعلنا هذا التنازل ركيزة مستقبلية لقضية مماثلة.

(١١٦) هكذا في الأصل، وصحة العبارة لغويًا: وهو مقداره مئتان وخمسة وعشرون ريالاً ...إلخ.

(١١٧) المراد: أن هذا المبلغ مقرر من القاضي القرِّف.

(١١٨) وثيقة محلية، وجاهة قبلية صادرة من الشيخ فهد بن أحمد بن محمود، ٢٥ ربيع الآخر ١٢٦٦هـ، انظر صورة الوثيقة رقم (٢) في ملحق الوثائق.

(١١٩) المراد: رجال قبيلة رويثة أهل وادي الصفراء، وموجب خيفهم، أي بشأن خيفهم.

بسيط... وبعد حضور الكل تفاتشوا(١٢٠) على يدي في خيفهم، وسار رقعة الخيف للفقيهي، والمانة والقوامة(١٢١) له، وخمسات رُوَيِّثة سوية الشور رويثة المذكورين في اللوازم التي تلزم البلد ... بشهادة الضمَّان: بخيت بن جزا، وكتب وشهد حذيفة بن الشيخ سعد، والخط والمهر عمدة على ذلك والسلام (الختم: الشيخ سعد بن جزا)"(١٢٢).

والذي يلحظ بعد عرض هذه الأمثلة؛ أن القضاء العرفي لا يختلف كثيرًا عن القضاء الشرعي، فهو في أسلوبه ومقوماته يسير وفق الأحكام الشرعية ولا يتعارض معها، ويمكن ملاحظة ذلك بصورة أوضح من خلال النص القضائي العرفي التالي: "الحمد لله تعالى، سبب تحرير حروفه والباعث إلى رقمها وتسطيرها مضمون ذلك ومعناه ومفهومه ومبناه؛ لقد تحاضروا لدى الشريف عاتق بن محمد نامي وهم صويلح بن درويش وأخوه فالح بن درويش المكاثرة(١٢٣)، ومسلم بن سالم الجحنون المكثري، وحضر لحضورهم عبدالله بن سعيد وعطية بن محسن وجود الله بن مسلم وعبدالله بن عبدالرحمن الطيير الفناكية(١٢٤)، وحصل بينهم نزاع وتشاجر في البلاد المسماة طرف القعود في الغور بجبل

---

(١٢٠) تفاتشوا: أي تداعوا وتنازعوا.

(١٢١) هكذا في الأصل، ولعل المراد: الأمانة، والمراد: أمانة الخيف والقيام عليه.

(١٢٢) وثيقة محلية، إنهاء خلاف بشأن خيف رويثة، ٥ شعبان ١٢٨٦هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦.

(١٢٣) من قبيلة صبح.

(١٢٤) من القحوم، من صبح.

صبح، وهي البلاد المذكورة تحت يد الطيير بالمشترى، فبعد ذلك؛ صويلح وفالح ومسلم المذكورين(١٢٥) يقولون: البلاد طرف القعود لسالم بن محمد المكثري ليس باعها(١٢٦)، وورثة الطيير يقولون: اشتراها سلامة بن مرزوق الطيير بماله لنفسه.. فبعد النزاع والتشاجر حضروا على يد الشريف عاتق بن محمد بن نامي الموقع ختمه أعلاه حَكمًا بينهم، وطلب منهم لزمة وجوههم على الحق الذي أفصله بينكم ترضونه، وقد ألزم وجهه مسلم بن سالم المكثري ووكل صويلح بن درويش نائبًا يخاصم دونه، وقد وكلوا ورثة الطيير، عبدالله بن سعيد نائبًا دونهم يخاصم، وعلى اللزمة(١٢٧)، وقد ألزم وجهه عبدالله بن سعيد على ورثة سلامة الطيير برضاهم، فبعد ذلك ادعى صويلح بن درويش نائبًا عن مسلم بن سالم وقال: ادّعي عندك يا شريف عاتق في بلاد سالم بن محمد المسماة طرف القعود، الذي راحت علَيَّةً(١٢٨)، لا بيع ولا هبة إلا بباب السرقة والنهبة، وأنا أقول من عندك على [أن] ابن مسلم لا حق على مال أبوه(١٢٩)، فأجابه عبدالله بن سعيد نائبًا عن ورثة سلامة بن مرزوق الطيير وقال: أدعي وأجيب، وأصلي على الحبيب، فالبلاد(١٣٠) المسماة طرف

---

(١٢٥) هكذا في الأصل، وصحتها: المذكورون.

(١٢٦) هكذا في الأصل، والمراد: لم يبعها.

(١٢٧) أي وفق ما التزموا به.

(١٢٨) هكذا في الأصل، والمراد: علَيَّ.

(١٢٩) هكذا في الأصل، وصحتها: مال أبيه.

(١٣٠) هكذا في الأصل، والمراد: في البلاد، والبلاد هي الملك أو العقار الزراعي.

القعود المذكورة الذي اشتراها سلامة بن مرزوق بماله لنفسه من وكيل سالم بن محمد سيأتي ذكره.. وأبرزوا مع ذلك حجة، وإذ هي تنطق بأن حضر ظافر بن ظفر المكثري على يدي حامد بن محمد المغربي نائبًا عن سالم بن محمد المكثري على بيع البلاد المسماة طرف القعود المذكورة واستلام ثمنها ومعه شاهدين عدلين على ذلك، وباع ظافر المذكور من سلامة المذكور أصل البلاد المذكورة، وأوجب الشريف عاتق يمين بالله على ورثة الطيير بأننا لا زودنا حرفًا ولا نقصنا حرفًا ولا أتقينا لك نور(١٣١)، وحلفوا له، وصارت البلاد المسماة طرف القعود المذكور ملكًا خالصًا من أملاك سلامة بن مرزوق الطيير على موجب حجة البيع، بحقها ومستحقها وجميع ما يطلق عليه اسم المنافع والمطامع والمال والملك، هذا ما صح وثبت وحَكَمَ به الشريف حكمًا شرعيًا قاطعًا لكل دعوى ونزاع، وقد طلبوا ورثة سلامة الطيير من صويلح بن درويش المذكور كفل(١٣٢) على البلاد المسماة طرف القعود الذي صدرت بمجلس الحق، وقد كفل بوجهه صويلح المذكور على حماية ذلك البلاد من جميع الدعاوي والخلول، والكفالة صاع ومدين دخن مقبوضة(١٣٣) ليد الكفيل باعترافه بقبض ذلك على صحة البيع ولزومه في كمال خصوصه وعمومه في يوم سبع والاثنين من شهر مولد

---

(١٣١) هكذا في الأصل، والمراد: ولم نخفِ لك نورًا، والنور: هو البينة والحجة.

(١٣٢) هكذا في الأصل، والمراد: كفالة.

(١٣٣) في هذا إشارة إلى أخذ أجرة على الكفالة، مقابل أتعاب الكفيل.

ثاني سنة أربعة وستين ومئتين وألف وحسبنا الله ونعم الوكيل، شهود الحال حضر وشهد الشريف محفوظ بن محمد نامي، وحضر وشهد عبدالله بن مبارك بن يعقوب، وحضر وشهد عويد بن عليَّان المكثري، وكتب وشهد السيد محمد سعيد بن عامر الرديني، والله خير الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، فصل وحكم شرعي بمجلس الشريف عاتق بن محمد نامي(١٣٤) عفى الله عنه آمين"(١٣٥).

٧ - أشهر الفقهاء وكتبة الوثائق:

لقلة وجود العلماء الشرعيين الكبار؛ فإن الحاجة قد جعلت أهل القرى النائية وسكان البادية يعتمدون على رجال أقل درجة علمية، لكنهم مجتهدون في تعلم القراءة والكتابة وقراءة الكتب الدينية، حيث يقوم هؤلاء بدور كبير في سد حاجة الناس للقراءة والتعليم والفتوى والقضاء الشرعي أو العرفي، والقيام بالأمور الدينية اليومية، مثل الإمامة، وعقد النكاح، وكتابة المعاملات، ونحو ذلك(١٣٦). ويتضح ذلك من خلال ما تركه أولئك الرجال من كم هائل من الوثائق المحلية التي كتبوها بأقلامهم.

---

(١٣٤) يلحظ أنه سماه حُكْمًا شرعيًا، مع أنه حكم عرفي، إذ لم يكن الشريف عاتق بن نامي من القضاة الشرعيين، بل كان عارفة يقضي بين القبائل قضاء عرفيًا لا يخرج عن قواعد الشرع.

(١٣٥) وثيقة محلية، إنهاء دعوى في بدر، ٧ ربيع الثاني ١٢٦٤هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥.

(١٣٦) صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ج٢، ص٣٨٥.

ومن خلال قراءة الوثائق المحلية الخاصة بالمنطقة التي يتناولها البحث، يتضح أن كتابات القضاة والفقهاء في تلك الحقبة تشمل شتى مجالات حياة سكان المنطقة، بما في ذلك الجوانب الدينية والتجارية والسياسية والأعراف القبلية لتشمل: الفتاوى الشرعية، والقضاء الشرعي، والقضاء العرفي، والوصايا الشرعية والمواريث، والأوقاف والهبات، والمبايعات، والمغارسات، والإيجارات، والأحلاف والمعاهدات القبلية، والإقرارات والمخالصات، وإصلاح ذات البين، والمراسلات الشخصية ....إلخ(١٣٧).

ويوجد العشرات من أسماء الفقهاء وكتبة الوثائق المحليين في منطقة البحث من أبناء القبائل وسكان القرى.

ومن مشاهير الفقهاء من الأشراف وأتباعهم في قرى وادي الصفراء خلال حقبة البحث على سبيل المثال: السيد محمد سعيد بن عامر الرديني، وأخوه سعد(١٣٨)، والسيد

---

(١٣٧) لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع؛ يمكن الاطلاع على كتاب: وثائق وادي الفرع، وكتاب: وثائق ينبع والصفراء، لفائز بن موسى الحربي، ويحويان أكثر من ألفي وثيقة خلال المدة من سنة ١٠٠٠ إلى ١٢٣٠هـ.

(١٣٨) وثيقة محلية، إفراغ مستحقات مالية، ٢٨ محرم ١٢٦١هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ إنهاء دعوى شرعية، ١٨ صفر ١٢٦٤هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ مبايعة نخلة، ٢ ربيع الآخر ١٢٦٤هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧؛ هبة شرعية، ٢٠ ربيع الأول ١٢٦٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ مبايعة دكان، ٢ جمادى الأولى ١٢٦٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ عقد إيجار، ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٦٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ قضاء عرفي في بدر، ١٨ ربيع الأول ١٢٨٠هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

عبدالرحيم بن عمر ابن رديني(١٣٩)، والشريف دراج بن حامد(١٤٠)، وعطية بن عطية الله ـ تابع ذوي سلامة الأشراف(١٤١)، وعوض الشريف بن هاشم المهدلي(١٤٢)، والسيد عبدالله بن هاشم الرديني، وهؤلاء في بدر والصفراء(١٤٣).

ومن قبيلة الظواهرة من حرب: محمد بن ناهض الظاهري ومساعد بن ناشي، وهما في بلاد الظواهرة(١٤٤). ومن قبيلة الحوازم: إبراهيم بن حامد أبو فارس الحازمي(١٤٥)، ومصلح

---

(١٣٩) وثائق محلية، وثيقة توكيل بيع أملاك، ٢٠ ربيع الأول ١٢٦٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ وثيقة أخرى، ٢٠ شعبان ١٢٨٥هـ، مج: س/س/ص/١٩٥ .

(١٤٠) وثيقة محلية، بيع مخصصات في الحج الشامي، ١٠ ربيع الأول ١٢٨٧هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧ .

(١٤١) وثائق محلية، مبايعة في خيف الجديدة، ١٧ رجب ١٢٦١هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣؛ وثيقة هبة شرعية في خيف الجديدة، ٢٨ جمادى الأولى ١٢٦٢هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣؛ مبايعة ماء في خيف الخرماء، ١٣ رجب ١٢٦٢هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦؛ مبايعة عقار في وادي الصفراء، ٢٥ ذي القعدة ١٢٦٣هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(١٤٢) وثيقة محلية، تأجير عقار في وادي الصفراء، ٢٤ جمادى الأولى ١٢٨٥هـ، مج: ع/ع/ع/٢٠٥ .

(١٤٣) وثيقة محلية، تلازم بين ذوي محمد من صبح، ٢٤ محرم ١٢٩٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

(١٤٤) وثائق محلية، مبايعة عقار في بلاد صبح، ١٣ شوال ١٢٥٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ وثيقة مبايعة نخلة في بلاد الظواهرة، ١٢ ربيع الأول ١٢٦١هـ، مج: ع/ن/ظ/٤٧؛ ٢٥ ربيع الآخر ١٢٦١هـ، مج: ع/ن/ظ/٤٧.

(١٤٥) وثيقة محلية، مناقلة ملكيات في بلاد صبح، ٥ رجب ١٢٧٦هـ، مج: خ/ع/ح/١٩٦ .

بن محمد الشريوفي الحازمي(١٤٦)، وعلي بن سليمان القرف، وهو من أشهر قضاة العرف، كما سبق(١٤٧).

ومن قبيلة صبح: مسلط بن عبدالله الصبحي(١٤٨)، ومحمد بن حيدر بن عبدالواحد بن عاطف الصبحي(١٤٩)، وآل عاطف من الفقهاء والقضاة الشرعيين، وعبدالرحيم بن حامد بكري(١٥٠)، ومحمد بن عوض العجرود(١٥١)، وعبدالله بن عبدالرحمن الطيير(١٥٢)، وسليمان بن سالم الصبحي(١٥٣).

ومن قبيلة الحنيطات من حرب: مبيريك بن رشود بن مبارك المهيملي(١٥٤)، وإبراهيم بن صالح بن حمد

---

(١٤٦) وثيقة محلية، مبايعة عقار، مؤرخة في ١٦ ذي الحجة ١٢٦١هـ، مج: ع/م/أ/١٤٧ .

(١٤٧) وثيقة محلية، مبايعة نخلة، ٤ شوال ١٢٩٧هـ، مج: م/ع/م/٦٨ .

(١٤٨) وثائق محلية، مبايعة ساعة ماء في بلاد صبح، ٢ ربيع الآخر ١٢٦٢هـ، مج: ع/ن/ظ/٤٧؛ وثيقة مبايعة، ٣٠ جمادى الآخرة ١٢٦٣هـ، مج: ع/ن/ظ/٤٧ .

(١٤٩) وثيقة محلية، إنهاء دعوى، ١٤ جمادى الأولى ١٢٦٥هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(١٥٠) وثيقة محلية، تلازم قبلي، ٢ ربيع الأول ١٢٨٠هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥.

(١٥١) وثيقة محلية، مبايعة أرض في بلاد صبح، ٢٥ شعبان ١٢٨٠هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧ .

(١٥٢) وثيقة محلية، مبايعة أرض في بدر، ٥ محرم ١٢٨٠هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

(١٥٣) وثيقة محلية، إثبات لحوس النار عند الشيخ ابن عمار الصبحي، ٢٩ رجب ١٢٩٤هـ، (دون تصنيف).

(١٥٤) وثائق محلية، مبايعة بئر في وادي الصفراء، ٢٤ رجب ١٢٦٥هـ، مج: ع/ج/ح/١٥١؛ وثيقة مبايعة نخلة، ٥ شوال ١٢٦٥هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣؛ وثيقة مناقلة ماء في الجديدة، ١٣ جمادى الآخرة ١٢٦٧هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣ .

المهيملي(١٥٥)، وعبدالرحمن بن بريك بن مدشع(١٥٦)، ومحمد بن عبدالرحمن بن مدشع(١٥٧).

ومن قبيلة المحاميد (محمادي): نويمي بن علي بن سليطين الرتوعي(١٥٨)، وشليان بن سليمان بن معيوف المحمادي(١٥٩).

ومن قبيلة الأحامدة من حرب: حسن بن زيد الأحمدي(١٦٠).

ومن قبيلة جهينة سالم بن عايش الجهني(١٦١).

ومن بني عمرو أهل الخيف بوادي الصفراء: محمد بن راجح(١٦٢)، وعبدالله بن حمد بن فايز بن سليم(١٦٣)، ومحسن

---

(١٥٥) وثيقة محلية، مبايعة في وادي الصفراء، ٢٥ ذي القعدة ١٢٨٠هـ، مج: م/م/ر/١٤٢؛ وثيقة مبايعة ماء في وادي الصفراء، ١٠ جمادى الأولى ١٢٧٨هـ، مج: ع/ج/ح/١٥١ .

(١٥٦) وثيقة محلية، مبايعة ملك في رحقان، ٤ رجب ١٢٥٩هـ، مج: خ/م/ج/١٩.

(١٥٧) وثيقة محلية، إنهاء خلاف في وادي الصفراء، ٢٢ ربيع الأول ١٢٧٩هـ، مج: م/م/ر/١٤٢.

(١٥٨) وثيقة محلية، مبايعة ماء في خيف الجديدة، ٢ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣.

(١٥٩) وثيقة محلية، مبايعة بيت في خيف الواسطة، ٢٦ جمادى الأولى ١٢٧٨هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦.

(١٦٠) وثيقة محلية، مبايعة مخصصات مالية في الحج الشامي، ٢٥ رمضان ١٢٦٨هـ، مج: م/س/ف/٤٥.

(١٦١) وثيقة محلية، إنهاء دعوى وخلاف، ١٧ شوال ١٢٥٩هـ، مج: ح/م/ذ/١٤٣.

(١٦٢) وثيقة محلية، مبايعة أرض ونخل في وادي الصفراء، ٢٠ محرم ١٢٦٥هـ، مج: خ/م/ج/١٩.

(١٦٣) وثائق محلية، مبايعة في بلاد الحوازم، ٢٢ شوال ١٢٦٤هـ، مج: ع/ع/ع/٢٠٥؛ وثيقة قسمة أملاك في بلاد الحوازم، ١١ صفر ١٢٦٥هـ، مج: م/ع/ح/١٢٧.

بن درويش(١٦٤)، ودخيل الله بن مرشود بن حريز(١٦٥)، ومطلق بن عوض(١٦٦).

ومن قبيلة بني يحيى ناجي بن عبدالرحمن اليحيوي(١٦٧).

ومن الأسر والقبائل الأخرى في وادي الصفراء: عتيق بن رفيع من أهل بدر(١٦٨)، وردة بن حامد(١٦٩)، وسلامة بن علي حسن غرابلي(١٧٠)، وسالم أبو بكر الواقري(١٧١)، وإبراهيم بن محمود(١٧٢)، وحسين بن زيد(١٧٣)، ومحمد بن عباس

---

(١٦٤) وثيقة محلية، وقف في الخيف، ٤ جمادى الآخرة ١٢٦٤هـ، مج: ع/ع/ع/١٠٥

(١٦٥) وثيقة محلية، مخالصة في الخيف، شهر صفر ١٢٦٥هـ، مج: ع/ع/ع/٢٠٥.

(١٦٦) وثيقة محلية، مبايعة ماء في الخيف، ٢٠ صفر ١٢٨٧هـ، مج: ع/ع/ع/٢٠٥.

(١٦٧) وثيقة محلية، مبايعة نخلة في خيف السارة بوادي الصفراء، ٢ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ، مج: م/م/ر/١٤٢.

(١٦٨) وثائق محلية، وثيقة إنهاء دعوى في بلاد صبح، ١٨ محرم ١٢٦٤هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥؛ وثيقة إثبات شهادة في بلاد صبح، ٢٥ ربيع الآخر ١٢٦٤هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥.

(١٦٩) وثيقة محلية، مبايعة نخلة في وادي الصفراء، ٥ جمادى الآخرة ١٢٩٦هـ، مج: ع/ع/ع/١٠٥.

(١٧٠) وثائق محلية، وثيقة مبايعة ماء في خيف فاضل في ينبع النخل، ٥ شعبان ١٢٥٤هـ؛ و٢٥ رجب ١٢٥٦هـ، مصدرهما مج: ع/ع/ق/١٧٩.

(١٧١) وثيقة محلية، مبايعة عقار بخيف دغبج بوادي الصفراء، ٢٠ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥.

(١٧٢) وثيقة محلية، إنهاء خلاف بشأن ميراث بوادي الصفراء، سنة ١٢٧٣هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧.

(١٧٣) وثيقة محلية، مبايعة روضة بوادي الصفراء، ٢٩ محرم ١٢٧٤هـ، مج: ح/م/أ/١٩٩.

الأقرع(١٧٤)، وسلمان بن عطية الله أبو قنزعة(١٧٥)، والفقيه عبدالله بن محمد الأكوع، ومن أمثلة كتاباته النص التالي: "الحمد لله وحده، مؤرخ في شهر شعبان عام ألف وميتين وخمسة وخمسين لقد حضر عندنا الرجل العاقل البالغ الرشيد (حسين بن حمد بن مطرق) وقد أنه باع على الرجل العاقل البالغ الرشيد (صالح بن بخيت الحجلي)(١٧٦) أصل قيراط ماء في وجبة(١٧٧) نهار الأحد هو نشيل بيع وشراء شرع من وقت البيع وحينه لا رجوع فيه ولا خيار يبطله بقول (حسين): بعت، وبقول المشتري: شريت، بثمن قدره ونصابه عند عقد البيع خمسة ريالات ونص، وقد خالص(١٧٨) بها من وقت البيع وحينه، ولزم البائع وجهه على حماية ما باع من جميع الدعاوي والخلول راعي الحق يرضيه وراعي الباطل يعَدِّيه وجه ماروث يرثه الحي عن الميت والنقي عن البايق، بشهادة (مبارك بن إبراهيم العواضي) ومثله (سعد بن مسعود الحناطي)(١٧٩)، وكتب وشهد (عبدالله بن محمد الفقيه الأكوع)، والله خير

---

(١٧٤) وثيقة محلية، مبايعة في ينبع النخل، ٦ محرم ١٢٨٧هـ، مج: ح/م/أ/١٩٩.

(١٧٥) وثيقة محلية، مبايعة ماء بخيف الجديدة، ٢٢ ربيع الثاني ١٢٨٠هـ، مج: م/م/ر/١٤٢ .

(١٧٦) هكذا في الأصل، والمراد: الحجيلي.

(١٧٧) الوجبة: هي ماء العين.

(١٧٨) هكذا في الأصل، وصحة العبارة: ... خمسة ريالات ونصف، وقد خلص بها ... إلخ.

(١٧٩) هكذا في الأصل، والمراد: الحنيطي.

شاهد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم"(١٨٠).

ولا شك في أن وجود مثل هذه الأعداد الكبيرة من المتعلمين والكتاب المحليين من أبناء القبائل يرد على أولئك الرحالة والمؤرخين الذين ركزوا على الجوانب السلبية لأهل المنطقة، ورسموا لهم صورة قاتمة تكاد تنحصر في الغوغاء والجهل وقطع الطريق، فضلاً عن سكوتهم - غالبًا - عن الأسباب الحقيقية لسلوك التمرد والعصيان الذي ينجرف إليه أفراد أو قبائل من المنطقة في حالات معينة(١٨١).

ولعل مما يلحظ بهذا الصدد؛ أن أكثر شيوخ القبائل كانوا يجيدون القراءة والكتابة، إذ يتضح ذلك من خلال الوثائق المكتوبة بخطوطهم، ومنهم على سبيل المثال: الشيخ عباس بن أحمد بن مضيان(١٨٢)، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الطيير الصبحي(١٨٣)، والشيخ فهد بن أحمد بن محمود(١٨٤)،

---

(١٨٠) وثيقة محلية، مبايعة ماء بوادي الصفراء، شعبان ١٢٥٥هـ، مج: ب/ع/ش/١٢٨ .

(١٨١) أحمد السباعي، تاريخ مكة.. دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، (مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي، ط٤، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ص٤٤٥ .

(١٨٢) وثيقة محلية، إقرار بمديونية مالية بخط الشيخ عباس بن أحمد بن مضيان، ٢٢ صفر ١٢٨٠هـ، مج: م/ن/ظ/٤١ .

(١٨٣) وثيقة محلية، مبايعة قطعة أرض في وادي الصفراء، ٥ محرم ١٢٧٤هـ، مج م/ع/ط/١٠٥.

(١٨٤) هو الشيخ فهد بن أحمد بن محمود بن عَمِيرة الفضيلي الأحمدي، من أشهر شيوخ قبيلة الأحامدة في النصف الثاني من القرن الثالث =

والشيخ حذيفة بن سعد بن جزا الأحمدي(١٨٥)، وغيرهم ممن تقدم إيراد نماذج من مكاتباتهم(١٨٦).

٨ - الأوقاف والأسبال والأعمال الخيرية:

الأوقاف والأسبال من أفضل الأعمال والقربات إلى الله تعالى، وحرص أفراد المجتمع عليها يعد علامة على صلاح المجتمع وحب أبنائه لعمل الخير وتنافسهم فيه. ويظهر من الكم الهائل من الوثائق المتعلقة بهذا الجانب مدى تأثير الروح الدينية في نفوسهم. وتشمل الأوقاف والأسبال في منطقة الدراسة أنواعًا متعددة، من حيث نوع الموقوف وأغراضه، إذ يشمل الوقف حبس البيوت والمزارع والآبار وغيرها على المنتفعين بها، وفي مقدمتهم الذرية والأقارب، ثم غيرهم من المسلمين من أهل البلد أو من عابري السبيل. ومن أمثلة ذلك وقف لأحد الأعيان في الخيف في وادي الصفراء، إذ وقف وحَبَّس بيته على بناته من صلبه، وجاء فيه: "الحمد لله وحده، إنه لما كان يوم تاريخه يوم ٤ جماد آخر سنة ١٢٦٤ لقد حضر عندنا وعلى يدينا الرَّجَّال(١٨٧) العاقل الرشيد

= عشر الهجري، توفي في حدود سنة ١٣١٠هـ. انظر: مذكرات تاريخية، لفائز بن موسى الحربي، ص٢١٥-٢١٦؛ وثيقة محلية، إنهاء دعوى قبلية في بلاد الأحامدة، ٢٥ ربيع الأول ١٢٦٦هـ، مج: م/س/ف/٤٥ .

(١٨٥) وثيقة محلية، إنهاء خلاف بشأن توزيع خيف قبيلة رويثة بينهم، ٥ شعبان ١٢٨٦هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦ .

(١٨٦) انظر ما سبق إيراده عن الشيخ فهد بن أحمد الأحمدي على سبيل المثال في القسم الثاني الخاص بالقضاء العرفي.

(١٨٧) هكذا في الأصل، والمراد: الرجل.

معَوَّض بن دخيل الله، وقد وقف وحَبَّس البيت الكاين في حلة بني عمرو على بناته من صلبه جميعهن، ملعون بايعه وملعون شاريه، والبنت تسكن ولا تورِّث، وكل من ماتت مات نصيبها(١٨٨)، وبعد انعدامهن وقف للمفتاق(١٨٩) من عيالي"...إلخ الوثيقة. كما سَبَّل الواقف في الوثيقة نفسها وقفًا آخر يكون ريعه في لقمة حارة(١٩٠) على عابري السبيل والفقراء والمحتاجين، وعبارته: "... وكذلك سبَّل لهم في الروضة على طول الروضة من شرق وعرضه أذرع ١٦ سطعشر ذراع(١٩١)، سبيل على الدَّرَّاج(١٩٢) لقمة حارة ومن يحضرها مفتاق" ... إلخ(١٩٣).

ومن ذلك أيضًا وقف في ملك رويثة في خيف الخرماء بوادي الصفراء(١٩٤)، ومثله أيضًا أحد الأهالي من وادي

---

(١٨٨) المراد: أن نصيبها من الوقف لا ينتقل إلى أولادها، وقد سبق الكلام عن هذه المسألة.

(١٨٩) المفتاق: هو ذو الفاقة، وهو المحتاج المعدم.

(١٩٠) اللقمة الحارة: هي وجبة الطعام التي تقدم مطبوخة.

(١٩١) هكذا في الأصل، والمراد: ستة عشر ذراعًا.

(١٩٢) الدرَّاج: هو عابر السبيل، كما ورد في وثائق أخرى: درَّاج الحرمين. وثيقة محلية، إثبات وقف في خيف الحزامي بوادي الصفراء، ١٧ جمادى الأولى ١٢٧٩هـ، مج: س/ف/م/١٥٠؛ وثيقة إثبات وقف بيت بوادي الفرع، ٢١ ذي القعدة ١٢٩٩هـ، مج: ع/خ/م/٦٣ .

(١٩٣) وثيقة محلية، وقف بوادي الصفراء باسم الشيخ معوض بن دخيل الله العَمْري السالمي، ٤ جمادى الآخرة ١٢٦٤هـ: ع/ع/ع/٢٠٥ . ومفتاق: من الفاقة، مثل محتاج، من الحاجة.

(١٩٤) وثيقة محلية، وقف بخيف الخرماء، ١٥ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ، مج: ن/م/ر/١٠٦ .

الصفراء، إذ نص على وقف الأرض والنخل وخشب النحل (المناحل)، ولناظر الوقف ثلث عائد الوقف مقابل أجرته وإعمار الوقف(١٩٥).

ومن الوقف على الصوام ما جاء في وصية أحد رجال التمم من ولد محمد من حرب، إذ أوصى بقطعة أرض وما يتبعها من الماء، وقف لله تعالى على بناته يأكلن ولا حرج، وإن اغتنين يتعدى بأعمال البر. كما أوصى بثلث من الوقف المذكور يكون في تمر يفرق كل ليلة رمضان على صوام مسجد العشيشات(١٩٦)، وعلى أي مسجد محتاج(١٩٧).

وقد يشمل الوقف وقف السلاح على الذرية، ومن ذلك أن عبدالله بن فواز بن حصاني من شيوخ صبح وقف وحَبَّس وأبَّد وأكَّد أصل ست بواريد وثلاث جنابي على أولاده من صلبه(١٩٨)، ومثله محسن بن جدعان البليهشي من وادي الفرع(١٩٩).

وكان للمرأة دورها في الأوقاف؛ إذ إنها لا تقل حرصًا عن الرجل في التسابق إلى أعمال الخير، ومن ذلك على سبيل

---

(١٩٥) وثائق محلية، وقف مقيبل بن مقبول أملاكه في مدسوس وطاشا، بتاريخ ٦ (الشهر غير مذكور) سنة ١٢٨٠هـ: ع/م/أ/١٤٧ .

(١٩٦) العشيشات: هم جماعة الموقف جبر بن سلمان العشيشي.

(١٩٧) وثيقة محلية، وصية شرعية، سنة ١٢٨١هـ، (دون رقم تصنيف).

(١٩٨) وثيقة محلية، وصية شرعية في بلاد صبح، ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨١هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧ .

(١٩٩) وثيقة محلية، وقف وهبة شرعية، ٢٠ شعبان ١٢٩٠هـ، مج: م/ص/ب/٢ .

المثال وقف لامرأة من صبح أهل قرية الحَسَنية(٢٠٠) في وادي الصفراء جاء فيه: "... أن داخلة بنت عمَيِّر سبَّلت وحَبَّست وأكَّدت حوض أم عمر سبيل لوجه الله الكريم وراجية بذلك الثواب يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين، وتدريجه أربع أختام(٢٠١) تقرأ في شهر رمضان عنها، وما بقي بعد الختام على حسن نظر الوكيل على قدر الفاقة، والوكيل عليه ابني عبدالله بن عبدالرحمن ومن بعده الباقية من بناتي، ومن بعدهم الأصلح من ذراريهم ذكورًا وإناثًا" ...إلخ(٢٠٢).

ومن عاداتهم أحيانًا أن يتصدق الموصي بصدقة على الفقراء يجعل تنفيذها بعد وفاته مباشرة، ومن ذلك وصية امرأة اسمها مسلِمة، من أهل قرية أبو ضباع جاء فيها: "... أن يكلف عن مسلمة بعد موتها من الوقف بكفن واجب ومستحب، وعشوة ثلاث(٢٠٣)، وصاع ومدَّين حنن(٢٠٤)، وكفاية الجميع من بُن وملح وحطب وسمن"(٢٠٥).

---

(٢٠٠) أحد خيوف وادي الصفراء، كان بها عين جارية تقوم عليها قرية الحسنية وخيوفها الخضراء، إلى أن توقفت العين وماتت معظم الخيوف، وفقدت بهاءها وخضرتها، وغالب سكانها من الشذبان من صبح، والرتوع من المحاميد، وغيرهم، وكلهم من بني سالم من حرب، وتقع إلى الشرق من بدر على بعد ١٧ كيلاً تقريبًا، وإلى الغرب من الواسطة. البلادي، معجم معالم الحجاز، ص٤٧٠؛ البليهشي، بدر، ص١٣٩.

(٢٠١) المراد: ختم القرآن أربع مرات.

(٢٠٢) وثيقة محلية، وقف حوض نخل في الحسنية، في شهر رمضان ١٢٥٢هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

(٢٠٣) المراد: ثلاث ليالي.

(٢٠٤) الحنن: نوع من الحبوب.

(٢٠٥) وثيقة محلية، إثبات وقف في خيف أبو ضباع، ٢٦ ربيع الأول ١٢٥٩هـ (غير مصنفة).

ومن أدق الأمثلة التي تصور الحس الديني في ذلك المجتمع، خاصة المرأة، نختار النص التالي لامرأة من جبل صبح: "الحمد لله، حرر يوم عشر من شهر عاشور، مضمون ذلك ومعناه: قد حضرت الحرة المصونة سلمى بنت سلامة بن مرزوق الطيير، وهي تشهد أن لا إله إلاّ الله، وتشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الموت حق، والحياة ما شاء الله، وسمعت قول الله سبحانه وتعالى: لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة [أو معروف] أو إصلاح بين الناس(٢٠٦).. إلى قولها: وصح السبيل على النخل والطين والثمرة وماء وعامر ودامر وعلى جميع ما كانت تستحقه فيما شهر وذكر، وتصريف ثلث السبيل حسنة لقمة حارة ... إلخ"(٢٠٧).

كما أن من الأوقاف والأسبال ما يكون على عابري الطريق من حجاج وغيرهم، ومن الوقف على ضعفاء الحجاج والمنقطعين وتوزيع التمور على موارد المياه التي يتوقف عندها الحجاج، ومن ذلك أن أحد الأهالي في وادي الصفراء وقف ثمرة التمر تباع ويصنع بثمنها أحذية لحفاة الحجاج(٢٠٨).

ومن عاداتهم في الوقف؛ أن الأوقاف الأسرية تعود إلى الحرمين الشريفين في حالة انقراض ذرية الموقِف، ومثاله ما

---

(٢٠٦) سورة النساء، الآية ١١٤ .

(٢٠٧) وثيقة محلية، وصية شرعية وأوقاف في جبل صبح بوادي الصفراء، ١٠ محرم ١٢٨٥هـ، مج: م/ع/ط/١٠٥ .

(٢٠٨) الردادي، قبائل الحجاز بين خدمة الحجيج وحيف المؤرخين، (محاضرة)، الرياض: ندوة باجنيد، ١٤٣١/١/١٣هـ.

ورد في الوقف التالي: "إنه لما كان التاريخ يوم ١٧ من جماد أول سنة ١٢٧٩، لقد حضر عندنا منديل بن فالح[٢٠٩]، وهو في حال الصحة سالم من الموانع الشرعية، وقد سبَّل وحَبَّس الحوض الكاين في خيف الحزامي الذي يحده من شرق سبيل ذوي سليم، وحمد بن سعيدان من قبلة، والموقِف من بحر[٢١٠]، والمجاز من شمال، وفيه من الماء في أوجاب ذوي فالح ساعة ونص فسليمانية[٢١١] عنها ٣٦ قراريط، دوار ليل ونهار، وتدريج الحوض المذكور: أول على بناتي الذي ما تزوجت، ثم الذي ترجع بعد الزواج وهي ضعيفة، والوكيلة بنتي عايشة[٢١٢]، ومن بعدها من له الولاء الصالح من ذوي فالح، وله السدس نضارة[٢١٣]، وذلك الوقف بعد انقراض بناتي إلى دَرَّاج الحرمين[٢١٤]، إلى فقراء المسلمين" ... إلخ الوثيقة[٢١٥].

وهذه ليست إلاّ أمثلة مختارة من وثائق الوقف التي يوجد منها المئات؛ بل ربما الآلاف خلال حقبة الدراسة.

---

(٢٠٩) من المغامسة، من بني عمرو، أهل خيف الحزامي بوادي الصفراء.

(٢١٠) بحر: أي من جهة البحر، وهي جهة الغرب بالنسبة لأهل المنطقة، والمراد: ويحده ملك الواقف من جهة الغرب.

(٢١١) هكذا في الأصل، والمراد: ساعة ونصف في السليمانية.

(٢١٢) في هذا إشارة مهمة إلى تولي المرأة نظارة الأوقاف والوصايا.

(٢١٣) هكذا في الأصل، والمراد: نظارة، وهي ما يقابل أتعاب نظارة الوقف والعناية به.

(٢١٤) دَرَّاج الحرمين: أي السائر إلى الحرمين أو العائد منهما.

(٢١٥) وثيقة محلية، إثبات وقف في خيف الحزامي بوادي الصفراء، ١٧ جمادى الأولى ١٢٧٩هـ، مج: س/ف/م/١٥٠، وثيقة إثبات وقف بيت بوادي الفرع، ٢١ ذي القعدة ١٢٩٩هـ، مج: ع/خ/م/٦٣ .

٩ - أعمال خيرية أخرى:

كما يأتي ضمن الأعمال الخيرية والإنسانية العطف على المملوكين، والحرص على إعتاقهم لوجه الله تعالى، مع عادة التصدق على العتيق تقربًا إلى الله، وهذه الصدقة تسمى: "جواز العتق".

ومن ذلك ما ورد في وصية لأحد مشايخ قبيلة صبح، وهو الشيخ عبدالله بن فواز بن حَصَاني، وجاء فيها: "... وكذلك نخلة أم بنين في دبل(٢١٦) الماجدية اليمانية فهي لعبدي فضل الله جزاء عتقه، وكذلك النخلة أم بنين في دبل الماجدية الشمالية لعبدي سعيد جزاء عتقه"... إلخ الوثيقة(٢١٧).

ومما يدل على روح العمل الخيري ونفع المجتمع وقف بعض الأشياء التي لا يملكها كل الناس في ذلك الوقت مثل الأواني المنزلية ونحوها، إذ إن الواقف السابق يوصي بوقف قِدر وصحن، بقوله: "... وكذلك القدر الكبير والصحن الكبير سبيل" ... إلخ(٢١٨).

وفيما يتعلق بإصلاح ذات البين؛ يظهر من مضامين الوثائق المحلية لسكان المنطقة أن للخيرين دورًا مهمًا في إنهاء النزاعات والخلافات التي تنشأ بين الأفراد أو القبائل، ويبذل المصلحون من شيوخ القبائل ووجهاء المجتمع جهودًا كبيرة في

---

(٢١٦) الدبل: هو المجرى الرئيس للعين.

(٢١٧) وثيقة محلية، وصية شرعية ووقف عقارات في بلاد صبح في وادي الصفراء، ١٠ صفر ١٢٨٧هـ، مج: ع/ص/ح/١٠٧ .

(٢١٨) المصدر السابق.

إصلاح ذات البين، وحل الخلافات، وتصفية النفوس، وإحلال الوئام بين أبناء مجتمعهم. كما يلحظ سرعة استجابة المتخاصمين، وسهولة إقناعهم، وتقديرهم لزعمائهم وأخيارهم. وثمّة أمثلة لا حصر لها في أوراقهم، وهو ما يعني أن السعي بالإصلاح كان من الأعمال المعتادة في حياتهم اليومية، وتزخر وثائق المنطقة بأعداد لا حصر لها من الوثائق المتعلقة بإنهاء النزاعات وإصلاح ذات البين، منها على سبيل المثال ما جاء في الوثيقة التالية: "الحمد لله تعالى، تاريخ بيوم السبت وسبع من شهر رجب الفرد سنة ١٢٥٩، قد حصل نزاع وتشاجر ما بين عيال عمير بن سعود الشذباني وعيال الصحَيفي(٢١٩)، وذلك(٢٢٠) المنازعة والمشاجرة في سِدَّة بيت(٢٢١) الصحيفي وفي سوق بيت عنين الذي بيد غالية بنت عمير بن سعود، وذلك في الزابل زابل خيف الحسنية، فبعد ذلك المنازعة والمشاجرة والعلاج(٢٢٢) الطويل حضروهم جماعة من المسلمين سيأتي ذكرهم، وأسقطوا بينهما الدعاوي والخلول وأصلحوا بينهما على كلاً(٢٢٣) منهما تخرج سدته على الزابل وقدرها أربعة أذرع يد من البيت إلى الزابل ليس فيها بناء ولا تعثير، رضي مسلم بن سلامة الصحيفي

---

(٢١٩) وجميعهم من قبيلة صبح، أهل وادي الصفراء.

(٢٢٠) هكذا في الأصل، والمراد: وتلك.

(٢٢١) سدة البيت: هي واجهة البيت، وما يلزمها من المساحة اللازمة للدخول والخروج والاستقبال.

(٢٢٢) المراد: الأخذ والرد.

(٢٢٣) هكذا في الأصل، وصحتها: على كل، بالجر.

على أن سدة بيت أم عوض أربعة أذرع يد تخرج على سدته بحر وتنحرف متيامنة إلى الزابل وأن ليس له ولشركائه تعثير إلا سدة بيتهم تخرج مع السدة البرانية الذي تنحرف على الزابل، هذا ما صح وثبت ورضيوا(٢٢٤) عليه" ...إلخ(٢٢٥).

الخاتمة والاستنتاجات:

من خلال ما ورد في هذه الدراسة والاطلاع على ما جاء في الدراسات السابقة والمصادر التاريخية عن الأوضاع الدينية في منطقة البحث؛ فإنه يمكن تسجيل الاستنتاجات التالية:

- أن كتابات الرحالة المسلمين كانت تتركز في وصف الأماكن المقدسة، ومنازل الحج، وحياة السكان في المدن الرئيسة، وما يتعلق بحوادث قطع الطريق وخروج لصوص العرب والمناوئين للدولة على المسافرين والحجاج، لكنها تكاد تخلو من الإشارة إلى الأوضاع العامة، وخاصة الحالة الدينية في المناطق القروية والقبلية الواقعة على طرق الحج في منطقة المدينة المنورة.
- أن الباحثين والكتاب المعاصرين لم يعطوا المناطق القروية والقبلية ما تستحقه من الدراسة، ولم تحظ باهتمامهم

---

(٢٢٤) هكذا في الأصل، وصحتها: ورضوا ...إلخ.

(٢٢٥) وثائق محلية، إنهاء خلاف بشأن منزل، ٧ رجب ١٢٥٩هـ، مج: س/س/ص/١٩٥؛ إنهاء دعوى بين المحاميد والمرابطة على يدي الشيخ محمد بن ربيق والشيخ ضيف الله الذويبي، ١٠ شوال ١٢٩٨هـ، مج: ع/ع/م/٦٢؛ إنهاء مشاجرة بين البدارين والمحاميد، ١٧ شوال ١٢٩٨هـ، مج: أ/م/ط/١٤.

بالقدر الذي حظيت به المدن والحواضر الرئيسة في الحجاز، والدليل على ذلك؛ أن كثيرًا من المؤلفات التي توحي عناوينها بأنها تتضمن دراسة الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو تراجم العلماء والأعيان في الحجاز، لا يجد فيها الباحث شيئًا ذا بال عن الحياة في القرى المجاورة للمدينة، ولا عن أعلامها ورجالاتها.

- أن الانطباع السائد عن الأوضاع العامة في منطقة البحث كان مبنيًا في السابق على مصادر تاريخية يغلب عليها طابع المصدرية من طرف واحد، إذ لا وجود لمصادر تمثل وجهة نظر الأطراف المحلية، وأن معظم تلك المصادر كانت غير محايدة، أو غير دقيقة في معلوماتها، مما يؤكد الحاجة إلى إعادة قراءة التاريخ الريفي والقبلي في الحجاز قراءة منهجية غير متحاملة.
- أن حياة المجتمع الريفي والقبلي في منطقة الدراسة كانت تتسم بطابع ديني تتضح ملامحه من خلال إظهار الشعائر الدينية، والتسابق في الأعمال الخيرية، وكثرة الأوقاف والأسبال، والصدقات والهبات، وإصلاح ذات البين، وغير ذلك.
- أن المجتمع الريفي والقبلي في الحجاز كان يتسم بالتسامح الديني، على الرغم من تعدد المذاهب، وقد يعود ذلك إلى احتكاك الأهالي كل عام بحجاج من كثير من الأقطار الإسلامية ذات الثقافات الدينية المتنوعة؛ إذ يلحظ حالة

من التعايش السلمي بين أصحاب تلك المذاهب الدينية المختلفة دون تعصب أو إقصاء، ولا ترد الإشارة إلى منازعات مذهبية أو طائفية في تلك الحقبة الزاخرة بالاضطرابات السياسية والنزاعات القبلية.

- يلحظ تأثير الدعوة السلفية في السكان في منطقة البحث، ودورها في اختفاء الكثير من البدع والخرافات الدينية التي كانت سائدة قبل دخول الحجاز تحت الحكم السعودي، من خلال ما تصوره كتب الرحلات السابقة للقرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

قائمة مصادر الوثائق

ت	اسم المصدر	ع	الرمز
١	محمد صالح البليهشي الحربي – المدينة المنورة	٤٥	مج وثائق المؤلف – م ص ب ٢
٢	ابراهيم بن عبدالمحسن الطيير البدراني – المضيق	٢١٠	= = = – ا م ط: ١٤
٣	الشيخ/ خالد بن محمد علي بن جزاء – المسيجيد	٥٠	= = = – خ م ج: ١٩
٤	هضيبان بن نافع الخضراني – المدينة المنورة	٥	= = = – هـ ن خ: ٢٣
٥	الشيخ/ حسن بن مُرَيِّع العبيدي – أبو ضباع	٣٥	= = = – ح م ع: ٢٦
٦	مهنا بن نصار الظاهري – مكة	١٧	= = = – م ن ظ: ٤١
٧	مرزوق بن سلمان الفضيلي الأحمدي – المدينة المنورة	٤٨	= = = – م س ف: ٤٥
٨	الشيخ/ عطية الله بن ناهض الظاهري – جدة	٦٢	= = = – ع ن ظ: ٤٧
٩	محسن بن جزاء بن غبيشة البدراني – المدينة المنورة	٩١	= = = – م ج ب: ٥٣
١٠	علي بن عبدالفتاح المريبطي – المدينة المنورة	١٠١	= = = – ع ع م: ٦٢
١١	عبدالله بن أحمد الخصيفاني المريبطي – المدينة	٢٥	= = = – ع خ م: ٦٣
١٢	سمار بن غالي الصعيدي – الريان – وادي الفرع.	٢٥٠	= = = – س غ ص: ٦٦
١٣	مفتاح بن عناية الله المسيحلي – المدينة المنورة	٢٠٠	= = = – م ع م: ٦٨

تابع:

ت	اسم المصدر	ع	الرمز
١٤	عناية الله بن عابد السهكر البدراني – المدينة المنورة	٨٦	= = = – ع ع س: ٧٣
١٥	الشيخ/ معيتق بن عبيد الطيير الصبحي – الجديد	٢٠٠	= = = – م ع ط: ١٠٥
١٦	الشيخ/ نصار بن محمد سعيد الرويثي – بدر	٢٧	= = = – ن م ر: ١٠٦
١٧	عبدالعزيز بن صالح بن حصاني الصبحي – الحسنية	٢٢٠	= = = – ع ص ح: ١٠٧
١٨	ل. محمد بن عجلان الحازمي – الرياض	٣٠	= = = – م ع ح: ١٢٧
١٩	بخيت بن عوض الشاعري/ شيخ الشعراء من الحجلة	٤	= = = – ب ع ش: ١٢٨
٢٠	الشيخ محمد صالح بن محمد الرتيعي – الواسطة	١٥٠	= = = – م م ر: ١٤٢
٢١	حمَيِّد بن مسعود أبو ذراع الحازمي – الواسطة	١٤٠	= = = – ح م ذ: ١٤٣
٢٢	عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي – الرياض	٢١	= = = – ع م أ: ١٤٧
٢٣	عيادة بن يوسف المغامسي – المدينة المنورة	٤٢	= = = – ع ي م: ١٤٨
٢٤	سعد بن فالح بن منصور المغامسي – المدينة المنورة	٢١	= = = – س ف م: ١٥٠
٢٥	أوراق ذوي عبدربه الجبولي الحازمي – المدينة	١٤٧	= = = – ع ج ح: ١٥١
٢٦	أحمد بن عبدالرحيم بن جزا الأحمدي – المدينة	١٢٠	= = = – أ ع أ: ١٥٧

تابع:

ت	اسم المصدر	ع	الرمز
٢٧	حمدان بن حميد بن حصين الجراري – وادي الفرع	١٥٤	= = = – ح ح ج: ١٦٢
٢٨	عبدالله بن عمران القايدي – ينبع	٢٠	= = = – ع ع ق: ١٧٩
٢٩	وصل الله بن عتيق العريكي ـ المدينة	٢١	= = = – و ع ع: ١٩١
٣٠	سليمان بن سلامة الصبحي – الحسينية	١٧١	= = = – س س ص: ١٩٥
٣١	خالد بن عبدالرحمن الحيدري – المدينة	٤٠	= = = – خ ع ح: ١٩٦
٣٢	د. حامد محمد الحمودي الأحمدي – المدينة	٢٥	= = = – ح م أ: ١٩٩
٣٣	عدنان بن عيسى العمري السالمي – المدينة	٢٠	= = = – ع ع ع: ٢٠٥
٣٤	سلمان بن سلامة الهلالي الحازمي – المدينة	١٥	= = = – س س هـ: ٢٠٩

الملاحق

الملحق رقم (١)

وثيقة إنهاء دعوى بوادي الصفراء

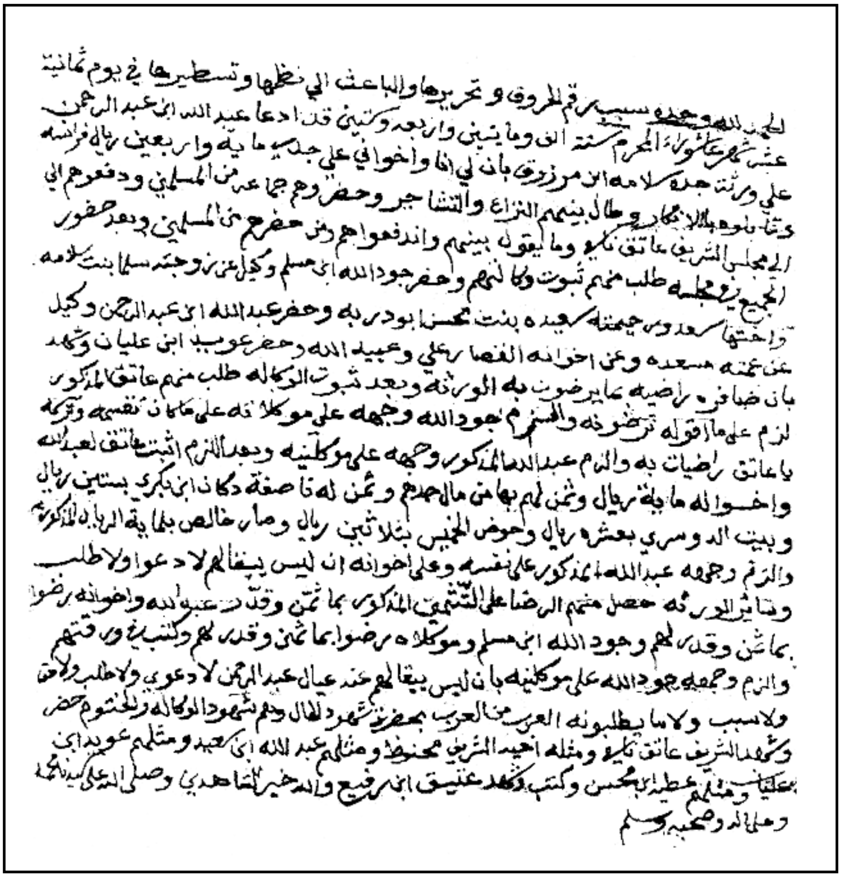

الحمد لله وحده سبب رقم الحروف وتحريرها والباعث الي نظمها وتسطيرها في يوم ثمانية
عشر شهر عاشوراء المحرم سنة الف ومايتين واربعه وثمنين قد ادعا عبد الله ابن عبد الرحمن
علي ورثة جده سلامه ابن مرزوق بان لي انا واخواني علي جدتي مايه واربعين ريال فرانسه
وقابلوه بالانكار وطال بينهم النزاع والتشاجر وحضر وهم جماعه من المسلمين ودفعوهم الي
المجلس الشريف عاتق نايف وما يعقوب بينهم واندفعوا هم ومن حضر معهم من المسلمين وبعد حضور
الجميع في مجلسه طلب منهم ثبوت وكالتهم وحضر جود الله ابن مسلم وكيل عن زوجته سلما بنت سلامه
واختها سعدي جميعة سعيده بنت محسن ابو درابه وحضر عبد الله ابن عبد الرحمن وكيل
عن عمته مسعده وعن اخوانه الفضا وعلي وعبيد الله وحضر عويبد ابن عليان وشهد
بان ضافيه راضيه بما يرضون به الورثه وبعد ثبوت الوكاله طلب منهم عاتق المذكور
لزم على ما قوله ترضونه والتزم جود الله وجهه على موكلاته على ما كان تقسيمه وتركه
لعاتق راضيات به والتزم عبد الله المذكور وجهه على موكليه وبعد التزم اثبت عاتق لعبد الله
واخوانه مايه ريال وثمن لهم بها من مال جدهم وثمن له تا صفة دكان ابن بكري بستين ريال
وبيت الدوسري بعشره ريال وحوض الخميس بثلاثين ريال وصار خالص بمايه الريال المذكوره
والتزم وجهه عبد الله المذكور على نفسه وعلى اخوانه انه ليس يبقا لهم لا دعوا ولا طلب
وسائر الورثه حصل منهم الرضا على التثمين المذكور بما ثمن وقدر عبد الله واخوانه رضوا
بما ثمن وقدر لهم وجود الله ابن مسلم وموكلاته رضوا بما ثمن وقدر لهم وكتب في ورقتهم
والتزم وجهه جود الله على موكليه بان ليس يبقا لهم عند عيال عبد الرحمن لا دعوى ولا طلب ولا حق
ولا سبب ولا ما يطلبونه العرب من العرب بحضور شهود الحال وهم شهود الوكاله والختوم حضر
وشهد الشريف عاتق نايف ومثله اخيه الشريف محفوظ ومثلهم عبد الله ابن سعيد ومثلهم عويد ابن
عليان ومثلهم عطية ابن محسن وكتب وشهد عتيق ابن رفيع والله خير الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

المصدر: الشيخ معيتق بن عبيد الطيير الصبحي - بدر.

الملحق رقم (٢)

وجاهة قبلية صادرة من الشيخ فهد بن آحمد بن محمود

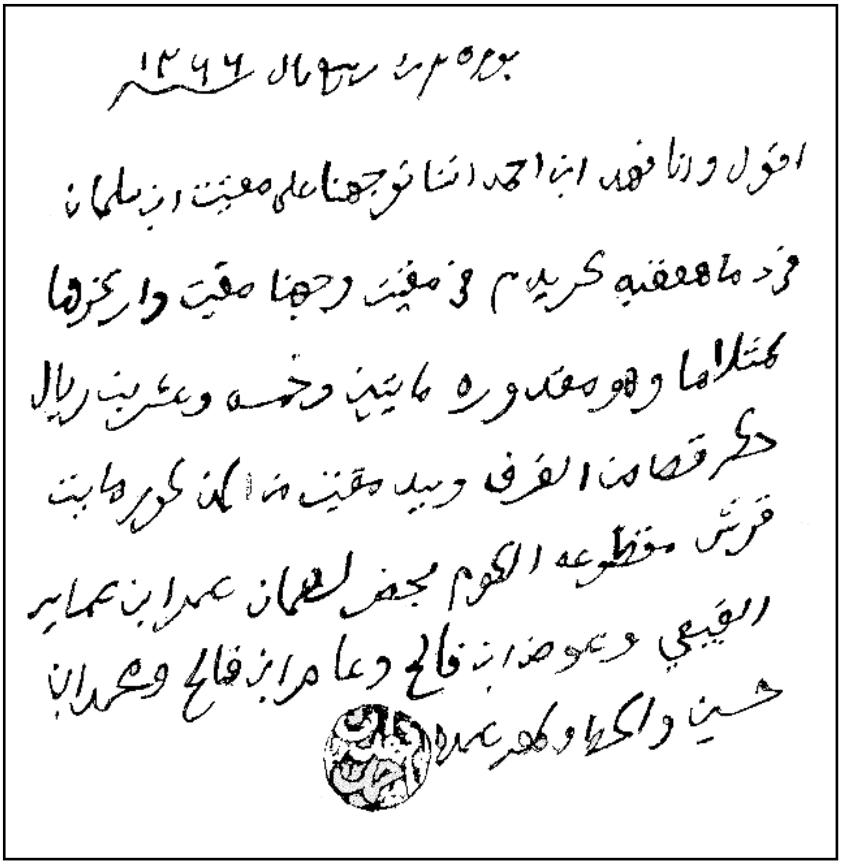

يوم ٥ من شهر شوال سنة ١٢٦٦

اقول وانا فهد ابن احمد اننا نوجهنا على معيض ابن سلمان
وذ ما هو عقبه كريدم في معيض وجهنا معيض واركزها
يمتلاها وهو معدوره مايتين وخمسه وعشرين ريال
ذكر قصاص الغرف وبيد معيض ما [illegible] لكور ثابت
قرش مقطوعه الكوم بحضر لشهان عمر ابن عماير
القيبي وعوض ابن فالح دعامر ابن فالح وحمدان ابن
حسين والخط وختم عمده

المصدر: الأستاذ/ مرزوق بن سلمان الفضيلي الأحمدي - المدينة المنورة.

أهل العوجا

تأليف
د. فهد بن عبدالله السماري

٩٤ صفحة

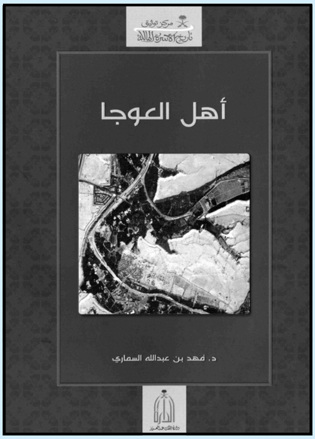

أهل العوجا

د. فهد بن عبدالله السماري

هذا الكتاب يمهد بالحديث عن النخوة العربية الأصيلة وأثرها في دفع حماسة العرب نحو الوقوف إلى جانب المظلوم ورد المعتدين، ويشير إلى أبرز تلك النخوات العربية وهي نخوة "العوجا" التي عرف بها آل سعود الميامين واشتهرت بين أهل العارض في نجد، ويذكر المدلول اللغوي لكلمة "العوجا" التي تكون في الغالب صفة لشيء أعوج من الأمكنة أو أجزاء من جسم الإنسان أو الحيوان.

ويعرض الكتاب آراء الباحثين في مدلول كلمة "العوجا" ويناقش كل رأي منها، ثم يختم بإيراد التفسير الراجح لمدلول هذه الكلمة، التي اتضح أنها ذات ارتباط مكاني بالدرعية، وارتباط ديني بالدعوة الإصلاحية التي انطلقت منها.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

الدارة

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa